ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1083 - الجمعة 16 شعبان 1425 هـ - الموافق 1 أكتوبر 2004

صدق الله العظيم

رسول الله خير المرسلين

تعريف أصول الفقه ودلائله

أساس المفاضلة بين الناس في الإسلام

آباء يتحسرون وأبناء ينفلتون

من مستجدات مدونة الأسرة

مقاصد سنة الابتلاء وأثرها العقدي

جلالة الملك يقول:

والمتأمل في تاريخ صوفية المغرب، يجد في سلوكهم وتعابيرهم، سواء لدى الصفوة أو على مستوى عامة الناس، ما يجده عند غيرهم من صوفية البلاد الأخرى، من رسوخ كبير في الأخلاق والرقائق، وفهم القرآن ولعل صوفية المغرب قد تميزوا عن سواهم بما غلب عليهم من نزعة اجتماعية وتربوية وخلقية، فقد اشتغلوا على الخصوص، بتعليم القرآن الكريم ونشر تعاليمه، بأسلوب مبني على مخاطبة القلوب وتعميق رجائها في رحمة الله التي وسعت كل شيء. كما عمقوا محبة آل البيت في النفوس، وأسسوا المدارس وخزائن الكتب، وسهروا على إصلاح ذات البين بين الناس، ونشروا قيم التضامن والتكافل، وقضوا بما نسجوه من روابط الأخوة القلبية، على عدد من حواجز التمايز العرقي والقبلي، وألغوا كثيرا من مظاهر الإقصاء الاجتماعي، وذلك بحث الناس على التسابق في الخيرات والتسامي على الماديات وتعميق استشعار الافتقار لله تعالى، والاستغناء به عما سواه. ولذا كانت مناحي تأثيرهم التربوي والاجتماعي تنم عن الإحصاء فإن ثلاثة أمور جليلة جديرة بالإشارة في هذا المقام، أولها مساندة الإمامة الشرعية في القيام بأعبائها، مع الحفاظ على الوحدة المذهبية المالكية والعقيدة الأشعرية والانفتاح، وثانيها تحرير النفوس من حب الرئاسة المغرضة، وترويضها على الشكر لله، ونبذ أنواع الأنانية والصفيان وثالثها تخريج ثلة من الرواد الذين لم تتناقض في أذهانهم النوازع الكونية مع التحلي بالروح الوطنية الخالصة.

انظر ص. 12

الوفاء أكبر رصيد وأثمن مكسب

لقد سجل التاريخ الصادق لأبناء المغرب وفاءهم الصحيح وإخلاصهم الكامل وحبهم العميق للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، فمنذ حبى الله هذا البلد الأمين بقيادة هذه الدوحة النبوية العلوية الشريفة، والمغرب يقطع أشواطا عملاقة في شتى ميادين التقدم، والحفاظ على مكانته التاريخية، وكان لتضافر جهود أبناء المغرب الأقصى على التشبث بالقيم، أكبر مردودية أغنت تاريخ أمتنا وجعلته مفخرة للإنسانية.

يعلم الكل علم اليقين أن هذه الأمة المغربية التي رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وقفت بقيادة العرش العلوي المنيف والجالس عليه أمام قوى الشر والظلم والطغيان في جميع مراحل تاريخها النبيل، وكان الانتصار حليفها في كل موقف تتخذه للدفاع عن المشروعية والعدل والإنصاف، وسر انتصار الأمة المغربية في أي موقف تتخذه هو أنها لا تدافع إلا عن حق، ولا تركن لباطل، امتثالا لكتاب الله جل وعلا، حيث قال الله في كتابه العزيز: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار"، إن ولد المغرب الأقصى في شرق المغرب وفي غربه وفي شماله وجنوبه لا يرضى بالمس من كرامته ولا يقبل تشرذم وطنه وتفرق ساكنته، وفي الدفاع عن هذا المبدأ الشريف - أعني عن وحدة الوطن والساكنة - لم تلم أبناء المغرب بصفة عامة لومة لائم.

ولقد أبلى ولد الصحراء المغربية البلاء الحسن في الدفاع عن مقدساتنا الوطنية لما يتحلى به كغيره من أبناء الوطن المغربي من إخلاص ووفاء صادق وامتثال لواجب البيعة الشرعية التي في أعناقنا جميعا للعرش العلوي المجيد ولشخص الجالس عليه أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين.

إن قوتنا نحن الأمة المغربية تكمن في وفائنا لمقدساتنا التي تربينا عليها جميعا إذ نخدم وطننا بفناء منقطع النظير، فنعمل بجميع قوانا وبمختلف شرائح أمتنا لنوفر لهذا الوطن ما يجعله يحتل المكانة السامية بين أمم العالم، مقتنعين أنه بدون الارتواء من معين العلم لا يمكن للأمة أن تعطي من العمل المجدي ما تفرض به وجودها في عصر لا مكان فيه للضعيف.

ونخلص لله ولرسوله سالكين سبيل الوسطية التي جعل الله عليها أمة محمد صلى الله عليه وسلم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، ندعو للدين بالحكمة ولا نغلو فيه ونيسر ولا نعسر ونبشر ولا ننفر وندعو عباد الله بأن يكونوا إخوانا.

كما نطيع ولي الأمر ونخلص له ونفي لما يدعو إليه ابتغاء لرضا الله ورسوله، لأن في طاعته طاعة الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) أخرجه الشيخان.

إن أمتنا المغربية الصامدة الوفية ستبقى مخلصة لشعارنا ومقدساتنا وأصالتنا، فالمغربي الأصيل لا يساوم في ثوابته ولا يرضى بالمس من كرامته، لا نتدخل لأحد في شؤونه الداخلية ونشوش عليه في حياته، ولا نعتدي على بلاده، ولا نعمل على تفرقة أمته، ليس ذلك من تربيتنا ولا من أخلاقنا، فنحن أمة عريقة في الحضارة، نتشرب من أخلاق الإسلام وعقيدته النقية، نحب للمؤمن ما نحب لأنفسنا، لا حقد فينا ولا حسد ولا نفاق ولا تدليس، صادقون في مواقفنا ملتزمون بالمشروعية، لا نرضى من الغير أن يفكر في تفرقتنا بشرا وأرضا.

إننا نحن المغاربة جميعا عرفنا بالصدق والوفاء والإخلاص لما يمليه علينا واجبنا الديني والوطني والإنساني.

وإن ولد الصحراء المغربية ضرب الرقم القياسي كغيره من أبناء هذا الوطن الغالي في الوفاء للعرش العلوي المجيد، والإخلاص للجالس عليه، أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس، أعزه الله ونصره وخلد في الصالحات ذكره، وأقر عين جلالته بولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد، وبجميع الأمراء والأميرات إنه سميع مجيب الدعوات، وجالب الخيرات، ودافع المضرات.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

ختام التجيبي للجزء الثاني من رحلته

■ لقد ختم التجيبي الجزء الثاني من رحلته بالكلام عن المشايخ الذين لقيهم بمكة المكرمة، وكان قد أشار إلى بعضهم أثناء حديثه عن مشاهد مكة ومعالمها، وكان أثناء وجوده بالبلد الأمين يرافقه بعض هؤلاء المشايخ في تجواله وتفقده للآثار والمعالم والمقدسات، وكان يستفسرهم، ويستفيد منهم، ويسجل أقوالهم عن هذا المشهد أو ذاك، وعن هذه المعلمة أو تلك، وفي نهاية هذا الجزء عمل على التعريف بالشيوخ الذين لقيهم وجالسهم واستفاد من دروسهم العلمية، ومن حديثهم وحكاياتهم، وأراد أن يعرف بهم تعريفا يستفيد منه قارئ رحلته، فذكر أسماءهم وألقابهم وكناهم، وأصلهم، وبلدانهم التي قدموا منها إلى مكة، أو قدم منها آباؤهم أو أجدادهم، ونسبهم للعشائر التي ينتسبون إليها، والتجيبي من عادته أنه يترجم لمشايخه ترجمة وافية بالمراد، ويضفي عليهم الألقاب المشرفة، والصفات اللائقة بمكانتهم العلمية والدالة على احترامه وتقديره لهم، فيحليهم بذكر المحاسن والمكارم، وفضائل الأخلاق، ويضيف إلى ذلك مالهم في ميدان العلم والمعرفة من تآليف، وإضافات وشروح مما يطلع القارئ على مكانتهم العلمية، ويذكر شيوخهم الذين اعتمدوهم في مسيرتهم العلمية، ومأأخذه هو عنهم واستفاده منهم، ويطلب من الله أن ينفعه بهم، وببركتهم ودعائهم، لاهجا بالثناء عليهم، والدعاء لهم...

ومهد للكلام عنهم بقوله : "ذكر ماتيسر لقاؤه والأخذ عنه بالبلد الأمين مكة المعظمة زادها الله تشريفا وتعظيما، وأعاد إليها على السنة في ذلك من أهلها والطارئين عليهم، امتع الله بحياتهم، وأعاد علينا من بركتهم، ونفعنا بصالح دعواتهم".

وبعد هذا التقديم يقول: فمنهم الشيخ الفقيه الصالح الفاضل العابد الزاهد العالم الكامل أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي المكي المنعوت بالعماد، المشهور أبوه بالطبري، وليس هو من الطبريين المكيين، سبط الإمام الجليل، إمام مقام الخليل. لأن كل جهة من جهات الكعبة المشرفة يقف بها إمام مذهب من المذاهب الأربعة.

نجم الدين سليمان بن خليل سبط الإمام أبي حفص الميانجي القرشي، ويقال إن شيخنا عماد الدين هذا قرشي النسب من ولد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، رضي الله عنهم، وأفعاله الجميلة تدل على قرشيته...

واستمر التجيبي في ذكر مناقبه ومحامده إلى أن قال: "سمع جده الإمام نجم الدين أبا الربيع وأبا داود، كنيتان لسليمان من خليل بن ابراهيم العسقلاني ثم المكي، ولازمه كثيرا، واختص به، وعليه أكثر سماعاته، وبإفادته سمع على كثير من مشائخه، وهو استجاز لنا جملة شيوخه أو أكثرهم، وكان أحد العلماء العاملين...

وذكر المؤلف جملة من شيوخه، ثم أخذ يذكر مروياته عنهم، فقد سمع صحيح البخاري جميعه كاملا عن جده الإمام أبي الربيع سليمان بن خليل المذكور، بقراءة شيخنا الفاضل أبي الهدى عيسى بن يحيى السبتي الصوفي رحمه الله تعالى...

ومما أخذه شيخه هذا بالسند المتصل صحيح مسلم يقول التجيبي: سمع . أي شيخه العماد . جميعه كاملا بالحرم الشريف عند باب ابراهيم على الشيخ الإمام الفاضل أبي عبد الله محمد بن عبد الله، بن أبي الفضل السلمي المرسي في مجالس آخرها الثالث والعشرون من رجب سنة ست وثلاثين وستمائة، وهو أقدم سماع رأيته لشيخنا عماد الدين هذا، ويستمر التجيبي في ذكر مرويات شيخه عن شيوخه، مستوفيا الجوانب العلمية والأخلاقية، متتبعا لمراحل دراستهم في بلدانهم، وفي البلاد التي رحلوا إليها، ذاكرا لأشهر شيوخهم، ومأأخذوه عنهم، وسمعوه منهم، وسندهم في الكتب التي درسوها عليهم من أمهات العلم كصحيح البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك بن أنس، وكتب السنن، والمسانيد، ومصنفات السيرة النبوية... ويذكر عناوين الكتب التي سمعوها وأجيزوا فيها، وتاريخ الرواية والسماع باليوم والشهر والسنة والمكان، ويذكر المجالس التي تم فيها السماع والأخذ...

ويلاحظ القارئ من خلال ماكتبه التجيبي عن شيوخه الذين لقيهم بمكة المكرمة أو بغيرها أن علماء المسلمين كانت لهم رغبة أكيدة في أن يأخذ بعضهم عن بعض بقصد التوسع في العلم والزيادة في الاستفادة، ويلاحظ كذلك أن عددا من علماء المشرق كانوا يأخذون عن علماء الغرب الإسلامي، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها سماع شيخ التجيبي أبي الحسن المكي عن بن برطلة الأزدي العالم الأندلسي الشهير، وأخذه عن أبي عبد الله السلمي المرسي وغيرهما.

وكان الحرم المكي يجمع بين العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وكذلك الأمر بالنسبة للحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة. وكان هؤلاء العلماء يتوقون للأخذ عن غيرهم، وبخاصة من المشهورين والمتضلعين في العلوم الاسلامية، أو في جانب من جوانبها، وإلى هذا يجد الدارس لرحلة التجيبي نفسه أمام مجموعة من فهارس الكتب العلمية، والمصنفات التي يتناولها العلماء بالدرس بعناوينها وأسانيدها، مع ذكر الشيوخ المبرزين فيها...

وفي آخر هذا الجزء الثاني ترجم التجيبي لاثني عشر شيخا من شيوخه الذين درس عليهم، وأخذ عنهم بمكة المكرمة وقد أطال في الكلام عن بعضهم، فقد كتب عن شيخه أبي اسحاق ابراهيم الطبري المحتد، المكي الدار والنشأة والمولد، مفتي الشافعية بالمسجد الحرام، وإمامهم بالمقام، لقد كان إمام الشافعية يقف للصلاة بأتباع مذهبه بإزاء مقام ابراهيم عليه السلام، تجاه الكعبة تشريفا له، وكان الشيخ أبو اسحاق أحد فقهاء مكة وفضلائها، وأحد مفتي الحجيج بمنى وعرفات، وإليه مرجع جماعة الشافعية بمكة، وكان ذا عقل ودين متين، شديد الهيبة نقي الشيبة، وقور المجلس، نظيف الملبس، كثير الصمت، محبا للحديث النبوي وأهله، صبورا على الجلوس للغرباء، كثير التحمل لجفائهم، يقعد لهم في شدة الحر ويطيل الجلوس معهم...

وبعدما حلاه بالأوصاف الحميدة التي كان يتصف بها، تحدث عن حياته العلمية الحافلة بالاخذ والعطاء، وذكر عددا وافرا من شيوخه، ومن كبار العلماء الذين أجازوه، مع ذكر سنده فيما رواه وحدث به من تفسير، وحديث، وفقه وآداب، وسير... لقد كتب التجيبي عن هذا الشيخ خمسة وثلاثين صفحة، أبرز فيها قيمته العلمية والأخلاقية، ومكانته الاجتماعية، وعلو كعبه في العلوم والمعارف، وغزارة اطلاعه على فنون العلم وشعبه، شعرا ونثرا، وتجربة وحكمة، مع حصافة الرأي ودقة الفهم، وسعة المعرفة... وماكتبه التجيبي عن شيخه هذا يدل على تفاني علماء المسلمين في خدمة العلم، ونشر المعرفةوبذل الطاقة والجهد في ذلك، إلى درجة نسيان الذات، والتضحية بنفيس الأوقات، وفيما سبق ذكر التجيبي إعجابه بشيخه عماد الدين أبي الحسن المكي، الذي افتتح به ترجمة شيوخه بمكة، لكنه لم يتوسع في ترجمته كما توسع في ترجمة شيخه هذا أبي اسحاق ابراهيم الطبري الثالث من المترجمين لهم، ومع استيفاء الكلام عن شيوخه المكيين فتراجمهم تتفاوت في الطول والقصر، ولعل مرد ذلك كثرة ماقيده عن بعضهم، وسمحت به الظروف معهم، دون الآخرين.

ويبقى مع ذلك أن ماكتبه التجيبي عن شيوخه بمكة يعد من النفاسة بمكان، ويعطي فكرة واضحة عن ضغف علمائنا رحمهم الله بالبحث والتحصيل، ويعطي كذلك فكرة في غاية الوضوح عن المكتبة الإسلامية الغنية بالمؤلفات في مختلف مجالات المعرفة، وعن المنهجية الإسلامية في توثيق العلم ونشره وتعهد طلابه، والتودد إليهم بغية ذيوعه والاستفادة منه.

واختم هذه الحلقة بما ختم به التجيبي هذا الجزء ، بحديثه عن إحرام الكعبة ملخصا كلامه في ذلك: قال: "في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة من عام ست وتسعين وستمائة، وصل زعيم الشيبيين إلى الحرم الشريف. والشيبيون هم: آل بني شيبة الذين بيدهم مفاتيح الكعبة والحرم الشريف وصل قبل طلوع الشمس وبيده مفاتيح الكعبة المعظمة، وحضر المكيون، ولم يتخلف منهم أحد، كبارا وصغارا، رجالا ونساء في احتفال عظيم، وقعدوا بإزاء المقام الشريف، وملأوا المطاف والحطيم، على عادتهم في ذلك منذ زمن طويل، وهذا اليوم يسمى عندهم يوم إحرام الكعبة، وصعد خطيب منهم المنبر وخطب خطبة بليغة تحدث فيها عن الكعبة وعن البلد الأمين، وخلع المكيون رجالا ونساء الثياب، ورموا بها، واجتمع منها قوم

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

عظيم، وتقدم زعيم الشيبيين إلى البيت الشريف، ونصب له كرسي صعد عليه، وقطع كسوة الكعبة نحو قامة ونصف مما يلي الأرض من الجوانب الأربعة، وهذا يسمونه إحرام الكعبة، وأعانه على ذلك سائر الشيبيين، ونزل بعد ذلك، وفتح باب الكعبة المعظمة، ودخل هو وآله وبعض الوجهاء من أجل غسل الكعبة بماء زمزم، ثم جمروا البيت، وأغلق زعيمهم الباب، ولم يفتحه إلا بعد حضور أمير القافلة المصرية، وهذه عادتهم على مر السنين، ثم قطع الشيبيون مما قطعوه من أستار الكعبة قطعا قطعا، للغرباء الواردين عليهم، وكذلك يفعلون بسائر الكسوة إذا نزعوها يوم النحر، وهذه الكسوة يؤتى بها الآن من مصر من قبل ملكها، قال التجيبي: وبلغنا أنها كانت في زمن أميري المؤمنين عمر وعثمان رضي الله عنهما، يؤتى بها من مصر أيضا.

ثم تعرض التجيبي بمناسبة رؤيته لعملية تقطيع كسوة الكعبة قطعا قطعا للمسألة فقهيا، هل يجوز توزيع قطع كسوة الكعبة وبيعها وشراؤها... فقال: "اختلف في جواز شراء هذه الكسوة من بني شيبة، وإخراجها من الحرم الشريف، فقال الفضل ابن عبدان الهمذاني في بعض تصانيفه أنه لايجوز قطع شيء من أستار الكعبة ولاشراؤه من بني شيبة، ومن حمل من ذلك شيئا فعليه رده، قال: ولا يجوز وضعه بين أوراق المصاحف خلاف ماتوهمه العامة.

وقال تقي الدين أبو عمر بن الصلاح: الأمر فيها إلى الإمام يصرفها في بعض مصاريف بيت الله بيعا وعطاء، ونقل خبرا مسندا عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع كسوة الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحجاج، فيستظلون بها على السمر بمكة" ثم قال: سألت شيخنا الفقيه الإمام الفاضل نزيل الحرم الأمين أبا عمر والتوزري المالكي عن هذه المسألة فقال لي يجوز شراؤها".

فالتجيبي رحمه الله على عادته يريد معرفة الأمور من الوجهة الشرعية، وهو قد لاحظ انتشار كثير من العادات التي ليس لها سند شرعي، فكان يستنكر أحيانا، ويتوقف أحيانا أخرى، وكان في كل ذلك يسأل شيوخه المكيين والمجاورين بالحرم الأمين وقد ترجم لاثني عشر منهم في آخر هذا الجزء وقد سبق الكلام عن ذلك.

■ الأستاذ: إدريس كرم

الوثاق

تعريف أصول الفقه ودلائله

للعلامة أحمد بن مبارك

أصول الفقه، دلائل الفقه الإجمالية، وقيل معرفتها شر،

أشار بهذين القولين إلى الخلاف في مسمى الأصول ما هو، وهذا الخلاف يجري في كل علم، وذلك كالنحو مثلا، يطلق بإزاء القواعد والمسائل التي فيه، ويطلق على إدراك تلك القواعد، ويطلق على الملكة الحاصلة من إدراك تلك القواعد وطول ممارستها، فهذه ثلاث إطلاقات.

الأول القواعد، والثاني والثالث الملكة، وإلى القول الأول والثاني أشار المصنف، ونفى عليه الإطلاق، الثالث وهو قول ثالث أيضا.

■ ثم اعلم أن الأصول بالمعنى الأول إذا أردت أن تعرفه من غير تقليد، فاطلبه في أبواب هذا الكتاب مثلا فتنظر إلى باب من أبوابه فتجد فيه عدة مسائل، فتقول هذه من الأصول، ثم انتقل إلى باب آخر، فتحصر مسائله فتحكم عليها بأنها من الأصول، وهكذا حتى تأتي على سائر أبوابه، مثال ذلك أن تنظر إلى باب الأمر مثلا، فتجد فيه عدة مسائل منها الأمر للوجوب حقيقة، ومنها الأمر لمطلق الماهية لا للمرة ولا للتكرار، ومنها الأمر لمطلق ماهية لا للفور، ولا للتراخي، ومنها الأمر يستلزم القضاء، ومنها الأمر إذا وقع بعد الأمر هل يعمل بهما إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بالأمر، والمسائل المتعلقة بالنهي، والمسائل المتعلقة بالعموم، والمسائل المتعلقة بالخصوص، والمسائل المتعلقة بالمطلق والمسائل المتعلقة بالمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والمنطوق والمفهوم، وغير ذلك من مسائل الكتاب الأول ومسائل الكتاب الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع، فإذا جمعت تلك المسائل كلها، وأحطت بها وحضرت في فكرك ونظرك قلت مشيرا إليها هذا هو الأصول.

❖❖❖❖

فهذه المسائل الكثيرة التي هي في حشو الكتب السبعة هي قواعد الأصول التي يطلق عليها بالمعنى الأول:

ثم اعلم أن هذه المسائل التي هي مسمى الأصول، وإن تكاثرت فقد اشتركت في قدر واحد، وهو أنها تركبت من قضية ذات موضوع ومحمول ونسبة بينهما كما ترى في الأمثلة السابقة.

فالموضوع في هذه المسائل هو الدليل الإجمالي والمحمول فيها هو العوارض التي تلحقه، والقضايا المشتملة على ذلك هي المسائل، والمسائل هي الأصول، فحصلت لنا معرفة ثلاثة أمور.

❖❖❖❖

الأول ما موضوع في الأصول وجوابه أنه موضوع مسائله وهو الدلائل الإجمالية، الثاني ما عوارضه الذاتية وجوابه أنها المحمولات في مسائله، الثالث ما هو الأصول وجوابه أنه المسائل والقواعد التي فيه، فقول المصنف رحمه الله أصول الفقه دلائل الفقه الإجمالية غير صحيح، إذ الدلائل الإجمالية موضوعه لا إنها نفسه بحق العبارة، فحق العبارة أن يقول أصول الفقه مسائل دلائله الإجمالية، أي المسائل الباحثة عن أحوال دلائله الإجمالية، وقد لوح المحلى رحمه الله إلى الاعتذار عن المصنف، حيث ضم إلى الدلائل الإجمالية البحث عن أحوالها، فكأنه يقول الدليل الإجمالي، مع البحث عن أحواله هو الأصول ولا يخفى ما فيه من التكليف.

شر: أورد عليه ثلاثة أمور أحدها أنه أسقط المرجحات وصفات المجتهد من مسمى الأصول، حيث قصره على الدلائل الإجمالية، وقد اعتبرها غيره في مسماه، الثاني إن كان من حقه، حيث أسقطها من مسمى الأصول لأن من حق المنسوب أن لا يخالف المنسوب إليه، الثالث أنه حيث أسقطها من مسمى الأصول فكان من حقه أن يسقطها من تأليفه أيضا، لأن تأليفه إنما وضع في الأصول والمرجحات وصفات المجتهد خارجان عن الأصول فأجاب المصنف عن الأول، بأن الصواب معه في إسقاطهما من مسمى الأصول، لا مع غيره من إدخالهما فيه، فإن أصول الفقه هي الدلائل الإجمالية والمرجحات وصفات المجتهد ليستا من الدلائل الإجمالية كما لا يخفى عن الثاني، بأنه لا محذور في اعتبارهما في الأصول مع خروجهما عن مسمى الأصول قياسا على ما ذكروه في الفقيه، حيث قالوا انه ذو الدرجة الوسطى لغة وعربية الخ فإن هذه الأوصاف المذكورة في تعريف الفقيه شروط للفقيه وليست داخلة في مفهومه، وقد أدخلوها في مفهوم الفقيه الذي هو مشتق منه، فقد اعتبروا في المشتق ما هو شروط المشتق منه، فلذلك أدخلنا المرجحات وصفات المجتهد لأنها شروط للأصول، فاعتبرنا في المنسوب ما هو من شروط المنسوب إليه.

❖❖❖❖

وعن الثالث: بأن المرجحات وصفات المجتهد، وإن خرجا عن مسمى الأصول لكنهما شرط فيه وطريق إليه، فذكرناهما في كتابنا لهذا السر، ولهذا أدخلا في الأصول، وظن من ظن أن لهما في مسمى الأصول دخلا، وإنما هما شرط، وطريق إليه كما قلناه، وبالجملة فالدلائل الإجمالية التي هي مسمى الأصول لما كانت تتوقف معرفتها على معرفة المرجحات، وصفات المجتهد جاز ذكرها في فن الأصول.

❖❖❖❖

وأشار الجلال المحلى إلى رد الأول بأن الصواب مع غير المصنف في ادخالهما في مسمى الأصول، لا مع المصنف في إخراجهما منه، فإن مسمى الأصول كل ما يتوقف عليه الفقه من الدلائل الإجمالية ومن المرجحات وصفات المجتهد ووجه توقفه على الدلائل الإجمالية ظاهر لأنها هي القواعد التي يقع بها الاستنباط، ووجه توقفه على المرجحات وصفات المجتهد ان الفقيه يتوقف على الأدلة التفصيلية وهي قد تتعارض فيصار إلى الترجيح ولا يكون إلا بمرجحه، ومرجحات، ولا يعرف المرجح إلا من اتصف بصفات الاجتهاد، فلزم من ذلك توقف الفقه عليها، وهو ظاهر.

❖❖❖❖

فإن قلت ولزم منه أيضا توقفه على الأدلة التفصيلية فتكون داخلة في مسمى الأصول، قلت لم نعتبر الأدلة التفصيلية مسماه لكثرتها جدا وعدم انضباطها ولا جهة لضبطها إلا الدلائل الإجمالية، فلهذا استغنى عنها بها، وأشار أيضا إلى رد الثاني بأنه لا يصح أن يعتبر في مفهوم الأصول، ما لا يعتبر في مفهوم الأصول لأن مفهوم الأول هو مفهوم الثاني، وإنما يزيد عليه بالإشعار بالذات المبهمة، فلو زاد عليه بقيد يدخل في مفهومه لم يكن منسوب إليه والقياس الذي ذكره على الفقيه إنما يتم لو قصدوا فيه إلى مفهوم الفقيه، وهم لم يقصدوا ذلك، وإنما قصدوا ما صدقه أي فهم، قصدوا في الفقيه إلى جهة الذات المبهمة التي فيه، وبيان ما صدقها ولم يقصدوا إلى بيان الفقه الذي فيه حتى يصح القياس وأشار أيضا إلى رد الثالث بأنه لا يصح أن تكون المرجحات وصفات المجتهد شرطا في الدلالة الإجمالية وطريق إلى معرفتها، فإنها أي الأدلة الإجمالية لا تتعارض حتى تحتاج إلى المرجحات وصفات المجتهد، وإنما الذي يتعارض ويحتاج إليهما هو الأدلة التفصيلية وبيان ذلك لإيراد أمثلة للتعارض ليتضح بها الحال ويرتفع بها الإشكال.

❖❖❖❖

فنقول المثال الأول حديث كان آخر الأمرين من رسول الله (ﷺ) ترى الوضوء مما مسته النار، رواه أبو داوود عن جابر، ورواه أبو عمر بن عبد البر عن عبد العزيز بن عمار عن ابن لعبد الرحمن بن عوف، عن عائشة كان آخر الأمرين من رسول الله(ﷺ) الوضوء فيما مسته النار، وعبد العزيز هذا عندهم ضعيف، ولا تعلم له رواية عن ولد لعبد الرحمن بن عوف، ولا انه أدرك أحدا منهم فلذا أخذ العلماء بالأول دون الثاني،

❖❖❖❖

المثال الثاني: حديث الترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت رسول الله(ﷺ) قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين ومد بها صوته، هكذا رواه سفيان ومد بها صوته، ورواه شعبة وخفض بها صوته، قال البخاري حديث سفيان أصح، وأخطأ شعبة في قوله وخفض بها صوته.

❖❖❖❖

المثال الثالث: حديث القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة قالت كان زوج بريرة عبدا وحديث الأسود عنها أنه كان حرا والأول أصح لأن سماع القاسم منها مشافهة وسماع الأسود من وراء حجاب، ولذا حكموا بخطإ روايته هذه.

❖❖❖❖

المثال الرابع: حديث أبي رافع أن النبي(ﷺ) تزوج ميمونة وهو حلال وحديث ابن عباس تزوجها وهو محرم ورجحنا الأول لأن أبا رافع قال وكنت الرسول بينهما فرجحناه بالمباشرة.

❖❖❖❖

المثال الخامس: حديث ميمونة تزوجني رسول الله(ﷺ) ونحن حلال لأن مع حديث ابن عباس ورجحنا حديثها بأنها صاحبة الواقعة وبموافقة أبي رافع.

❖❖❖❖

المثال السادس: حديث زوجتكما بما معك هكذا رواه مالك وسفيان عن أبي حازم ورواه عبد العزيز وزائدة ملكتكها بما معك من القرآن والحديث الأول أرجح لأن مالكا وسفيان أضبط وأوثق من عبد العزيز وزائدة.

❖❖❖❖

المثال السابع: حديث طلق بن علي الحنفي في عدم نقض الوضوء بمس الذكر، وقوله إنما هي بضعة منك، وحديث بصرة بنت صفوان في وجوب الوضوء به، ورجحنا الثاني لأنه متأخر كان عام الفتح، وحديث طلق كان في أول الهجرة إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا تكاد تنحصر، وكلها أدلة تفصيلية.

❖❖❖❖

وأما الأدلة الإجمالية نحو الأمر للوجوب والنهي للتحريم وفعله على الصلاة والسلام حجة، وغير ذلك فيستحيل فيها التعارض، فلا تكون المرجحات وصفات المجتهد طريق إليها، خلافا للمصنف.

❖❖❖❖

ثم اعلم أن توقف التفصيلية على المرجحات وصفات المجتهد مختلف، فهو بالنسبة إلى المرجحات من حيث معرفتها وإلى صفات المجتهد من حيث قيامها بالمرء، فإن أوصاف المجتهد ما لم تقم بالشخص لا يمكنه أن يرجح حديثا عن حديث ولا أن يطرح حديثا لحديث، وإنما يقدر على ذلك، فإن قامت به أوصاف الاجتهاد فقول المصنف أن الأدلة الإجمالية تتوقف على معرفة المرجحات، ومعرفة صفات المجتهد، معترض من وجهين، أحدهما أن الذي يتوقف هو التفصيلية لا الإجمالية والثاني أن التوقف على صفة المجتهد من حيث القيام لا من حيث المعرفة وإذا فهمت ما بسطناه اتضح لك ما أشار إليه المحلى والله اعلم.

وكتب أحمد مبارك لطف الله به آمين

ح ع: 9405 انظر المحلى

الحديث العاشر والمائة: رسول الله خير المرسلين

في خلال الحديث:

نص الحديث:

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: "...ما رأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه فوالله ماكهرني ولاضربني ولاشتمني..." رواه مسلم.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

الحلقة الثانية

تناولنا في الحلقة الماضية وقفة مع الحديث الذي نحن بصدده، ثم وجهنا كلمة صادقة ملؤها المحبة والإخلاص والوفاء لرجال ونساء نذروا أنفسهم لتربية النشء وبناء الأجيال، وهذا أمر جليل وذو أهمية خاصة وجب الاقتداء فيه بخير قدوة وأفضل أسوة، ولن تجد . أخي المربي أختي المربية . أفضل من سيد المربين، وأفضل المعلمين، سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

3. صفات أساسية للمربي /المعلم الناجح:

إن التربية والتعليم من أعظم القربات وأجل العبادات، ولذا وجب على من انتدب نفسه لهذه المهمة الجليلة أن يتحلى بصفات أساسية كما قرر علماء وخبراء التربية المسلمون، متأسين في ذلك برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإننا لانروم أن يصل رجل التربية والتعليم إلى الكمال، فهذا أمر نسبي كما هو معلوم، والكمال البشري هو للرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكن الإنسان يسعى بكل جهده وبقدر المستطاع، وحسب الإمكانات المتاحة، يراقب فيها نفسه بنفسه، وذلك للتوصل إلي الأخلاق الطيبة والصفات الحميدة، وخاصة أنه في مركز القدوة التربوية، فينظر إليه جيل جديد على أنه مربيه وموجهه.

فبعد الإخلاص لله تعالى وابتغاء الأجر والثواب منه تعالى أولا وأخيرا، وجب التحلي بصفات أساسية تكون له عونا في العملية التربوية هذه أهمها:

أ. الحلم والأناة:

أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله (ﷺ) لأشج عبد القيس: إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة".

وهذه قصة لطيفة، تبين أهمية الحلم والأناة في بناء أخلاق الجيل الجديد: قال عبد الله بن طاهر: كنت عند المأمون يوما، فنادى بالخادم: ياغلام فلم يجبه أحد، ثم نادى ثانيا وصاح: ياغلام! فدخل غلام تركي وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ياغلام!إلى كم ياغلام؟ فنكس المأمون رأسه طويلا، فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه، ثم نظر إلي فقال: ياعبد الله! إن الرجل إذا حسن أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإنا لانستطيع أن نسيء أخلاقنا، لنحسن أخلاق خدمنا.

ب. الرفق والبعد عن العنف:

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ماسواه" وعنها أن النبي (ﷺ) قال: "أن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" متفق عليه.

وعنها أيضا أن النبي (ﷺ) قال: "إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه، ولاينزع من شيء إلا شانه" رواه مسلم.

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله". وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) قال لها: ياعائشة! ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على الرفق". وفي رواية "إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله (ﷺ) العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا هاهنا، فجئته، فقلت يارسول الله: ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: لا، فبرقت برقة فقال: الحقا بأمكما، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا"رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

وإليك عزيزي القارئ هذه القصة البديعة في موعظتها، لنرى تعامل السلف الصالح: روي أن غلاما لزين العابدين كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر، وجرحت رجله، فقال الغلام على الفور: ياسيدي يقول الله تعالى "والكاظمين الغيظ"، فقال زين العابدين: لقد كظمت غيظي، ويقول "والعافين عن الناس"، فقال: لقد عفوت عنك، ويقول: "والله يحب المحسنين" فقال زين العابدين: أنت حر لوجه الله.

ت. القلب الرحيم:

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله (ﷺ)، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله (ﷺ) رحيما رفيقا، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهلكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا كذا في حين كذا وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن فيكم أحدكم وليؤمكم أكبركم. متفق عليه.

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: "إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لايرحم من لايرحم ولده، والذي نفسي بيده لايدخل الجنة إلا رحيم، قلنا يارسول الله! كلنا يرحم، قال: ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، وإنما الرحمة أن يرحم الناس".

ث. أخذ أيسر الأمرين مالم يكن إثما:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ماخُيّر رسول الله (ﷺ) بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه من شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى" متفق عليه.

ج. الليونة والمرونة:

وهنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع، وهي: قدرة فهم الآخرين بشكل متكامل لابمنظار ضيق، وليس معناها الضعف والهوان، وإنما التيسير الذي أباحه الشرع، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

ح. الابتعاد عن الغضب:

إن الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية في العملية التربوية، بل كذلك من الناحية الاجتماعية، فإذا ملك الإنسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحا له ولأولاده، والعكس بالعكس، وقد حذر منه النبي (ﷺ) الرجل الذي سأله وصية خاصة له، فكان جوابه في المرات الثلاث: "لاتغضب" كذلك اعتبر (ﷺ) الشجاعة هي القدرة على عدم الغضب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.متفق عليه.

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسن رضي الله عنهما استدعى غلاما له، وناداه مرتين فلم يجبه، فقال له زين العابدين: أما سمعت ندائي؟ فقال: بلى قد سمعته، قال: فما حملك على ترك إجابتي؟ قال أمنت منك، وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت، فقال: الحمد لله الذي أمن مني غلامي.

خ. الاعتدال والتوسط:

إن التطرف صفة ذميمة في كل الأمور، لهذا نجد أن رسول الله (ﷺ) يحب الاعتدال في عمود الدين فما بالك في باقي الأمور الحياتية الأخرى، والتي أهمها العملية التربوية؟ فعن أبي مسعود عقبة بن عمر البدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي (ﷺ) غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: "يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة"متفق عليه.

د. التحول بالموعظة الحسنة:

إن كثرة الكلام في كثير من الأحيان لاتؤتي أكلها، في حين نجد أن التحول بالموعظة الحسنة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لذلك نصح الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه تلاميذه بقوله: "لاتحدث فقهك من لايشتهيه". كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبي (ﷺ) فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس مرة، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. فقال: أما أنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله (ﷺ) يتخولنا "أي يتعهدنا" بها مخافة السآمة علينا"متفق عليه.

ذ. الاقتناع بالمهنة (العمل التربوي):

ولقد اختلف الباحثون حول هذه الصفة، فبعضهم يعبر عنها بالإيمان، وبعضهم يعبر عنها بحب العمل والمهنة، ومنهم من يعبر عنها بالضمير الحي، أو الاقتناع بالعمل، وهي صفة يجب توفرها في رجل التربية والتعليم، لأن التربية عطاء نفسي وروحي، وغني عن البيان أن محمدا (ﷺ) كان مقتنعا بل مؤمنا غاية الإيمان بالعمل التربوي، لأن الله تعالى قد طبعه على ذلك، ولأنه أعد لمهمة الرسالة، فمن كان متأسيا فليتأس برسول الله (ﷺ).

هذه . كما قلت . بعض وليس كل الصفات التي يجب أن تتوفر في رجل التربية والتعليم، لتتحقق الغاية، وإن هذه الطاقة البشرية المباركة، هي أعظم ركن لنجاح هذه العملية المباركة المقدسة، نسأل الله تعالى أن يبارك في المعلمين والمتعلمين، وأن يحفظ أمة الإسلام، ويصلح فيها مافسد.

حديث المنابر

رؤية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لتاركي أداء زكاة أموالهم ليلة الإسراء والمعراج...

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله زكى أنفس المنفقين من أموالهم في سبيل الله زكاة وصدقة وصدق، ووعدهم بأن يخلفها لهم أضعافا مضاعفة، وأن يجعلها لهم طهرة وأمنا وأمانا... الحمد لله الذي توعد وأنذر الباخلين بأموالهم الكانزين لها ولاينفقونها في سبيل الله زكاة وصدقة صدق بأوخم العواقب في الدنيا والآخرة بأن يمحق الله بركة تلك الأموال، وأن يدني نفس صاحبها فتكون نفسا دنية ردية لاتشبع ولاترتوي حتى لو جرت لها أنهار الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث... أشهد أنه الله جل جلاله لا إله إلا هو وحده لاشريك له العظيم الحليم الكريم رب العرش العظيم، يجازي كلا بما يستحق، ويعاقب كلا بما هو له أهل... وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون، وحب المال والاعتماد عليه والاطمئنان به وإليه، والطغيان به نوع دنيء من الشرك بالله، يعاقب الله صاحبه بأن يجعله يحيا في الدنيا حياة القردة والخنازير... بل ربما أضل والعياذ بالله... بشهادة هذا الرسول العظيم الذي ماينطق عن الهوى الصادق المصدوق.. فقد جاء في حديث عند الطبراني والبزار أنه عليه الصلاة والسلام في ليلة إسرائه ومعراجه مر فيمن مر على قوم، على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم، فقال: ماهؤلاء؟ قال: هولاء الذين لايؤدون زكاة أموالهم، وماظلمهم الله، ومايربك بظلام للعبيد، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمين الأمي الهادي إلى أقوم السبل وأهداها وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه واستنار بنوره وعلى جميع عباد الله الصالحين في السموات والأرضين ومن يؤدون زكاة أموالهم وصدقات الصدق طاعة له وحبا في الله ورغبة فيما عنده إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون البررة الكرام، إن الله تعالى لم يخلق بني آدم عبثا، ولم يتركهم سدى، فخلقهم له أي لعبادته وطاعته، ولتتجلى فيهم وبهم رحمته وحكمته حتى لايبقى جل شأنه سرا عظيما مكنونا... وحتى تكون رحمته وحكمته متجلية في بني آدم وبهم اقتضت مشيئته جل وعلا أن يسوي فطرتهم ويعرفهم به وهم في ظهور آبائهم ذرية غيب وأشهدهم على أنفسهم شهادة حق ويقين أنه ربهم وإلههم وخالقهم ورازقهم وهاديهم ومرشدهم وناصرهم ووليهم... وقد شهدوا على أنفسهم بهذه الحقيقة الناصعة... وشهد عليهم الله بها وهو على كل شيء شهيد.. وهو المدبر الحكيم...وعلى أساسها تحمل الإنسان الأمانة: أمانة التكليف والوعي والاختيار والأخذ بالأسباب دون الاعتماد عليها والركون إليها، لأن مسبب الأسباب قادر على خرقها وفصلها عن مسبباتها لأن الكل من خلقه وأمره... وهو عز وجل القادر علي أن يقول للشيء كن فيكون، لايقيده سبب، ولاتعجزه نتيجة.. وقد كرم الله بني آدم وفضلهم واستخلفهم في أرضه الطيبة ليعمروها ويزينوها بالحضارة والعلم والإيمان والتقوى.. وهذه كلها متلازمة مترابطة بمشيئة الله، وأرسل إليهم الرسل ليذكروهم بغاية وجودهم ووسائل بقاء هذا الوجود... وأن التخلي عن حقيقة وجودهم وتحقيقها بوسائلها التي ارتضاها الله معناها الدمار في الدنيا والبوار في الآخرة... معناها أن الإنسان قد أفسد في الأرض وسفك الدماء بدل أن يصلح فيها، معناها أن الإنسان ظلوم جهول... معناها أن الإنسان نسي سر الأمانة التي تحملها بوعي واختيار، واستكان إلى أمور كلها أهون عند الله من جناح بعوضة حين رضي بزينة الدنيا ومتاعها وغرورها ونسي ربه الذي خلقه لعبادته... لقد خلق الله الإنسان له، وخلق كل شيء له، فمن نسي من خلقه له، واكتفى بما خلق له من شيء، فقد رضي بالدنية في دينه ودنياه وسيكله الله إلى مارضي به، سيحيون كالأنعام بل أضل وأهون وأذل.. وأي إنسان هذا الذي يطغى أن رآه استغنى، ويظن أن ما أتيه من ثروة أو قوة أو سطوة إنما اكتسبه على علم عنده، أو أن الله تعالى يحابيه لأن له عنده يدا أو نوع صلة ليست لغيره من باقي بني آدم الذين هم عند الله كأسنان المشط، لايتفاضلون إلا بالتقوى... فهو إنسان مغرور في نفسه وبنفسه.. ولله تعالى أن يمهله استدراجا حتى إذا أخذه لم يفلته... لأن من القوم الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وإليها.. وأبطرتهم نعم الله عليه، فحجزوها عن عباده وتجاهلوا أن هناك في أموالهم ماذكره الله تعالى ويعلمونه من الحق المعلوم للسائل والمحروم، زكاة تطهرهم وتزكيهم، وصدقة صدق ترقق قلوبهم وتحقق إنسانيتهم، أما أهل الشح والبخل والكنز فماهم إلا حيوانات في ثياب آدمية... وعلى هذه الحال رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه ومعراجه... رآهم على حقيقتهم العارية قوما يهيمون ويسرحون كما تسرح الأنعام... وماهم في حياتهم الدنيا إلا كالأنعام بل ربما أضل.. القوي منهم يتغلب على الضعيف، فينتزع حقه في العلف والمورد، لينتفخ هو ويسمن ويزداد شحما ولحما وقوة ويهزل الضعيف ويزداد ضعفا على ضعفه ويلتصق جلده بعظمه.. وهؤلاء القوم الأنعام يتسترون بصفة الإنسانية ويلبسون ثوبها زينة وزورا، وترمز إليها الرقاع التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقبالهم وأدبارهم، فبعد أن كانوا منغمرين في الخز والحرير أصبحوا لايستحقون عند الله إلا رقاعا تستر سوآتهم... لأنهم أكلوا حقوق الضعفاء والمحرومين المهزولين في أموالهم وهي معلومة ولم يؤدوها إليهم... أما طعامهم وشرابهم في دنياهم التي عاشوها في غرور وغرهم بها الغرور فقد كان بالإسراف والبذخ والبطر... ونسوا المسكين واليتيم والأسير... وقهروا اليتيم، ونهروا السائل، وأنكروا نعمة ربهم ولم يحدثوا بها لأنهم فقدوا حس الشكر على النعم.. فلا تراهم ملهوفين إلا على المزيد، كالنار التي تنتظرهم كلما قيل لها هل امتلأت تقول: هل من مزيد؟ وفي هذه النار التي هي لهم بئس المصير ينتظرهم نوع من الطعام غير الذي ألفته بطونهم المترفة: إنه الضريع: نبت الشبرق والسلاء والعوسج الرطب وكله ذو شوك لاتستسيغ أكله إلا الأنعام وخصوصا الإبل والبقر وإذا وجدت غيره عافته وطعامهم أيضا إذا اشتهوا التغيير الزقوم طعام الأثيم من شجرة ملعونة طلعها كأنه رؤوس الشياطين... شجرة مرة كريهة الرائحة... والزقوم في الدنيا كل طعام يقتل...يأكله الأشحة البخلاء الكانزون الذين يحرمون الفقير من حقه المعلوم في زكوات أموالهم وصدقات الصدق التي تطفئ غضب الرب وتقي مصارع السوء في الدنيا والآخرة.

وطعامهم أيضا الرضف... والرضف هي الحجارة المحماة بالنار أو بالشمس وهي هنا الحجارة المحماة بنار جهنم وشتان مابين رضف نار الدنيا ورضف نار جهنم والعياذ بالله... فياعباد الله البررة المؤمنين ادعوا كل من تعرفونه ممن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولايؤدي زكاة أمواله، ولايتصدق بصدقة الصدق سرا أو علنا وسرا قبل العلن إلى أن يتقوا ربهم ويرجعوا عن غيهم فيعاقبهم الله عدلا وقسطا بسوء أعمالهم وتتحقق فيهم رؤية رسول الله الصادق المصدوق.. وقولوا لهم ألا يرضوا لأنفسهم بالدنية.. وقولوا لهم أن يسموا ويرتفعوا بأنفسهم عن مستوى الأنعام بل ربما عن مستوى أضل وأقل ... وما ينتظرهم في الآخرة أشد خزيا وهولا... "وماظلمهم الله، ومايربك بظلام للعبيد" بهذه الحقيقة ختم جبريل الأمين جوابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه... وإني لأتوجه إلى الله تعالى معكم ضارعا خاشعا راغبا راهبا أن يقينا ويقي جميع مواطنينا في هذا البلد السعيد الأمين فقراء وأغنياء شح أنفسهم، وأن يلهمهم السداد والصواب والأمن والأمانة والتقوى والسخاء حتى يؤدوا زكوات أموالهم بنفوس راضية مرضية تهتز أريحية ونخوة إذا أعطت من المال المحبوب الحق وأكثر منه في الزكاة وصدقة الصدق مايذهب كرب المكروب ويسد عوز المعوزين ويرفع خسيسة كل من يدليه الفقر الذي كاد أن يكون كفرا إلى خسائس الأعمال والنيات، حتى تطفئ الصدقة غضب الرب عنا... وحتى تطهرنا الزكاة من كل درن يزيح رحمة الله عنا ورحمته تعالى وسعت كل شيء، فمن أولى بها منا إذا أدينا حقوق الله وحقوق عباده علينا... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين... الذي جعل في الصلاة زكاة الوقت، وجعل الزكاة زكاة المال، وجعل الصيام زكاة البدن، وجعل الحج لمن استطاع إليه سبيلا جامعا لكل الزكوات... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه... جزاء ماعلمنا مابه يرضى به ربنا عنا ونرضى عنه.

أيها المؤمنون البررة: جاء في كتاب قوت القلوب للشيخ الجليل أبي طالب المكي رحمه الله تعالى : "... وقد كان المسلمون يرون المواساة والقرض والقيام بمؤن العجزة من أنفسهم وأهلهم من المعروف والبر والإحسان وأن ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف"... فيا عباد الله: كونوا على نهج الأسلاف الكرام سائرين... فما سادوا وعزوا وفتحوا الديار والأمصار وهابتهم أعداء الله من الكفار والفجار إلا لأنهم أرضوا الله بأن أنفقوا مما رزقهم... وتواسوا بينهم في الأموال بالقرض والزكاة وصدقة الصدق...فانطفأ عنهم غضب الرب، وطهرت نفوسهم وأبدانهم وأزمانهم وعاشوا في دنياهم عيشة بني الإنسان المكرمين المفضلين المستخلفين... فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها... اللهم اجعل الزكاة لنا طهرة ورفعة وعزة وسمو نفوس وغنى من كل فقر، ورفعة عن كل خسيسة حتى تكون بلادنا وتبقى آمنة مطمئنة يحيا فيها قوم مطمئنون آمنون متواسون، اللهم لاتحرمنا الغيث والقطر بذنوب قوم قلة منا منحوا زكاة أموالهم وشحت أنفسهم الغيث والقطر بذنوب قوم قلة منا منحوا زكاة أموالهم وشحت أنفسهم بحق السائل والمحروم... اللهم سخ نفوسنا جميعا كمغاربة مسلمين بأداء حقوق الله فيما بيننا من زكاة وصدقة صدق.. أمير المؤمنين محمد السادس اللهم كن له الولي والنصير والمعين والظهير بالحق وفي الحق وللحق ياحق وألهمه السداد والرشاد حتى يحقق لشعبه مستوى من الرغد والرفاد مايسد حاجة الفقير، ومايذهب شح نفس الواجد... حتى تسود بين أفراد شعبه المواساة في الله والقرض لله وأداء حقوق الله، وحقوق عباد الله... اللهم أقر عينه بولي عهده مولانا الحسن وبأخيه الرشيد مولاي رشيد وبسائر أهله وولده وشعبه...

اللهم ارحمنا وارحم والدينا وجميع المسلمين والمسلمات

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الاسلام يفاضل بين انسان وآخر قيمة ودرجة باكثرهما نفعا لعامة الناس وبالتقوى

■ إعداد الاستاذ" محمد بشاري

■ إن الاسلام يعتني بتربية الفرد ويهتم به من حيث المنشأ ومن حيث المجتمع ومن حيث البدن ومن حيث العقل ومن حيث الوجدان بل إن تربية الاسلام للفرد واهتمامه به تبدأ قبل أن تكون هناك العلاقة الزوجية بين الابوين حيث يمنع الزواج من المحرمات ومن ذوي العاهات ويشترط التكافؤ النفسي والصحي والخلقي والديني إلى غير ذلك من الشروط.

وتربية الفرد لاتتوقف في مرحلة من مراحل الحياة ولاتنتهي بصفة من الصفات وإنما تسير معه ويستمر التكوين من البداية إلى النهاية بدون توقف قصد مواجهة الأحداث والمتغيرات الطارئة بين الناس وفي المجتمعات.

علما بأن الدور التي خلقها الله تعالى للسكن واعدها للمكلفين ثلاثة وهي:

1. دار الدنيا
2. دار النعيم المقيم
3. دار الحساب والعذاب المهين أعاذنا الله منها.

أما دار الدنيا فهي دار مشتركة بين جميع طبقات الناس تعيش فيها جميع الفئات جنبا إلى جنب وعلى صعيد واحد ولكن على أساس أن تبنى الحياة على المنهج الاسلامي الذي يفرض على كل مكلف امرين اثنين:

1. أن يومن بالخالق الذي خلقه فسواه فعدله وخلق له هذا الكون الذي يحيا فيه ويستمد منه مقومات الحياة لصالح نفسه.

2. أن يأخذ منه التكليفات بالرضى والقبول ولايخالف ماأمره بفعله ولا مانهاه عن تركه وذلك على سبيل الوجوب الالزامي التكليفي الاختياري وفي كتاب الله (وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)سورة الأحزاب.

فمن الزم نفسه بالطاعة واختار ما اختاره الله له وسار مع المنهج الإسلامي راضيا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا واتقى الله فيما أمر وفيما نهى وشارك في الحياة ونفع عامة الناس بانتاجه الفكري أو المادي فإن قيمته ودرجته في الحياة الاجتماعية تتحدد بمقدار مايقدمه للمجتمع من النفع ومايساهم به من الانتاج وفي كتاب الله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) سورة الزخرف.

وهذا بالنسبة إلى مايستحقه عاجلا في الحياة الدنيا، وأما بالنسبة إلى مايستحقه على طاعة الله ورسوله وعلى المشاركة في الانتاج والنفع لعامة الناس وعلى المستوى الانسانية وبالتقوى فإن درجته كما علت عند الناس بالنفع والانتاج تعلو عند الله كرما ورضوانا وما أعظم وأكرم هذه الدرجة من تلك وفي كتاب الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات.

والاسلام مافتيء ينصح ويرشد ذوي العقول والنهى من أهله وغير أهله ويبين لهم الرشد من الغي ويدعوهم إلى التمسك بالرشد واجتناب الغي وينبههم إلى مايترتب عن المخالفة من الاضرار وعدم الاستقرار. كما يدعوهم إلى معرفة قيمة كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني بصفة عامة وتمييز درجته من درجة الاخر في المجتمع. بصفة خاصة وذلك على المستوى الانساني العالمي عملا بمقتضى قوله (ﷺ) (خير الناس أنفعهم للناس) لأن الانسان لايفيق من الغفلة ولايترك الحسد والأنانية إلا بعد مايتعرف على أن من يساهم في بناء المجتمع بالنفع والانتاج الفكري أو المادي ويساعد على رقي مستواه الحضاري والاقتصادي والثقافي.. ليس كمن يسعى في الهدم والافساد وأن من ينتمي إلى الأخيار ليس كمن ينتمي إلى الأشرار، وأن مايرشد إليه (ﷺ) بقوله (خير الناس أنفعهم للناس) حق صدق، وأنه معيار دقيق وميزان يحدد بدقة قيمة كل أنسان في هذا الوجود الكوني ويضع درجته في الرتبة المستحقة اجتماعيا دون حيف ولاشطط، وأن من وزن قيمته بهذا المعيار وقارنها بقيم الآخرين يتعرف على درجته بنفسه ويرى مقامه في الصف الذي يحدده المعيار لمن ينفع الناس بمقدار مانفعهم هو به من الضروريات أو الكمالات. كما يتعرف على درجات الآخرين حسب الرتب نزولا وعلوا بل وحتى على دركات من يضر ولاينفع أو يكون عضوا اشل في المجتمع لايرجى منه نفع ولايستراح من أعبائه وتحملاته.

وحيث أن هذا المعيار، يزن قيمة كل واحد على حدة ويعرف درجته بمقدار مايساهم به من النفع لعامة الناس وهو معهم في معترك الحياة.ندرك من خلال الوزن بهذا المعيار أن هناك تفاوتا في الإنتاج وفي النفع وفي القصد والتقويم يكون من هذه الزاوية، إذ هناك من لايعتني حتى بنفسه فضلا عن أن يعتني بغيره فهذا لا وطن له. وهناك من هو أناني حسود لايحب إلا نفسه ولايتجاوز نفعه إلى غيره وهناك من يتجاوز نفعه إلى أسرته فقط وهناك من يتجاوز نفعه إلى الجيران ثم إلى المقاطعة ثم إلى المدينة ثم إلى الأمة ثم إلى الأمم الأخرى على المستوى العالمي ويخدم الانسانية جمعاء قصد النفع للإنسانية بقطع النظر عن القرابة العرقية والانتماء الديني أو المذهبي أو الحزبي أو اللوني أو القاري.

ولاشك أن من يخدم الناس وينفعهم بانتاجه الفكري أو المادي ويسعى بذلك إلى تيسير الحياة أو تقصير المسافات وتيسير المواصلات.. ويخترع ما فيه المصلحة العامة للإنسانية فإنه يتبوأ مكانة عالية ومرموقة على المستوى العالمي، كما ينال ثوابه المعنوي بالثناء ، وعوضه المادي على انتاجه واختراعه. على نفس المستوى. وأما من كان نفعه للناس دون هذا المستوى برتبة أو برتبتين أو بثلاثة... فإنه يعتبر من الاخيار في المجتمع الانساني وتكون قيمته ودرجته بمقدار مايخدم به المجتمع من الخير. ويجازى بالثواب المعنوي والمادي حسب ماقدم من الخدمات. المهم هو أن يحافظ على مركزه الانساني ويشارك بما تيسر له من الخير الذي يقدمه للمجتمع ويقصد به نفعه على هذا الكوكب الأرضي حسب ما يتمتع به من المواهب والقدرات والهمم والميولات والأذواق والمهارات واليخرج عن انسانيته الاجتماعية التي تربطهم بأصلهم الأول وهو آدم عليه السلام إلى افساد الحياة على المجتمع الانساني بما يضرهم ولاينفعهم ولايفكر في اذاية غيره من أجل مصلحته.

ومن لم يشارك في تذليل الصعاب في الحياة ولم يساهم بقسط من البر والاحسان إلى المجتمع فإنه يكون لاقيمة له ولاوزن في المجتمع ويعد من الاشرار.

لهذا بين رسول الله (ﷺ) لاصحابه وامته بل وللانسانية جمعاء علامات الاشرار واهتماماتهم وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: ألا أنبئكم بشراركم؟قالوا: بلى يارسول الله ان شئت. قال: إن شراركم الذي ينزل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده.قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله ان شئت، قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله ان شئت، قال: من لايقيل عثرة ولايقبل معذرة ولايغفر ذنبا. قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: من لايرجى خيره ولايؤمن شره.

رواه الطبراني وغيره.

انظر فإن دركات الأشرار تتفاوت في النزول كما تتفاوت درجات الأبرار في الصعود والحكمة من ذكر الأشرار وبيان اهتماماتهم المتمثلة في خصالهم هي أن يجتنب الانسان بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة هذه الخصال الذميمة التي تبعده عن مركزه الانساني وتجعله ينزل في أسفل الدركات.

وفي كتاب الله (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) سورة الاسراء.

وهذا كله بالنسبة لمن الزم نفسه بالطاعة واختار مااختاره الله له وسار على المنهج الاسلامي واتقى الله فيما امر وفيما نهى، وأما بالنسبة إلى غير هذا الفريق فإن استعمال هذا المعيار في حقه ووزن قيمته ودرجته به لايختلف عن استعماله مقياسا في تحديد القيم والدرجات عن الفريق الاسلامي لأن كلمة (الناس) كلمة عامة يندرج تحتها جميع أفراد بني البشر، فقوله (ﷺ) خير الناس أنفعهم للناس يتعين حمله على كافة بني البشر بدون استثناء فخير الناس من المسلمين أنفعهم للناس وخير الناس من الكفار أنفعهم للناس وخير الناس من المجوس أنفعهم للناس.

ومادام المعتبر في وزن القيم والدرجات هو مراعاة مقدار النفع الذي يساهم به كل فرد من الأفراد الذين يطلق على كل واحد منهم انسان عند ذكره وتعيينه فإنه لايخرج فرد من الأفراد عنه في تحديد قيمته وتعيين درجته كيف ما كان انتماؤه ولونه وجنسه فهو معيار عام شامل سليم من الطعون وحبذا لو تعرف عليه كل انسان على المستوى العالمي واتخذوه معيارا في معرفة الاخيار من الأشرار لعلم غير المسلمين بالاضافة إلى المنتمين إلى الاسلام، أن الاسلام يهدي للتي هي أقوم، وعلى أساس قوله تعالى (قد تبين الرشد من الغي)البقرة، ويبشر المومنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا".

وخلاصة القول: إن درجة الاخيار من المسلمين وغيرهم تتحدد عند الناس في الدنيا بقدر مايساهم به الانسان من النفع ويقدمه للناس على المستوى العالمي فكرا كان أو مادة. وأن درجة الاخيار عند الله تتحدد في الدنيا والاخرة بقدر ما يساهم به الانسان من النفع وهو مومن بالله ويتقيه في ذلك النفع وغيره.

علم التوقيت وكتاب " السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة

■ إعداد الأستاذ: محمد الرمشاني

الحلقة الأخيرة

والقاعدة في ذلك أنك تأخذ تمام الغاية ، وتطرح منه الميل في البروج الشمالية، وتزيد عليه في البروج الجنوبية يكون تمام ذلك هو عرض البلد.

كما قال الوزكاني رحمه الله

تمامها العرض إن الميل طرح
منه شمالا لا جنوبا زد يضح

نصف قوس النهار ونصف قوس الليل والغاية ونصف الفضلة
شكل 6

إذا كان الميل شماليا وهو يساوي 10؛ درجات ، ندير دائرة على مركز هـ فتكون دائرة " أ ب ج د " وهي دائرة نصف النهار ، ثم نأخذ قوس عرض البلد وهو قوس " ب و " وهو يساوي 35؛ درجة وهي زاوية " وهـ ب " ثم نأخذ تمام الميل الذي هو 10؛ درجات شمالا ، فيكون التمام 80 درجة فتكون زاوية " وهـ س " ونعلم أن الخط "غ ق" هو محور العالم حيث إن نقطة " و" هي القطب الشمالي ، ونقطة غ القطب الجنوبي ، والمركز"هـ" ، ونعلم نقطة " س "التي هي الغاية ، ثم نخرج بخط عمودي من نقطة"س" على المحور " ش ف " فيكون خط " س ك" ، ثم نحدث خطا موازيا للمحور " ش ف " وهو خط " ن م ر ق " بحيث يمر على نقطة تلاقي العمود مع الأفق وذلك في نقطة " م " ، فتحصل أن قوس " د س" الغاية ، ومركز القوس "هـ" ، وقوس " ن س" نصف قوس النهار الأول وقوس " س ر " نصف قوس النهار الثاني ، وقوس " ن ك " نصف قوس الليل ومثله قوس "ك ر" ، ودائرة " ن ف ك ح ر س " التي مركزها" ل هي دائرة المدار ، وتخطيطها أن تركز في " ل " ويبعد " ل س " تديرها ، وقوس " ن ف " نصف الفضلة وكذلك قوس " ر ح " وقوس " ش ب " عرض البلد.

تنبيه

التركيز في المدار وحسابات الدائر وفضله يكون على نقطة " ل" حيث تقاطع المحور مع العمود.

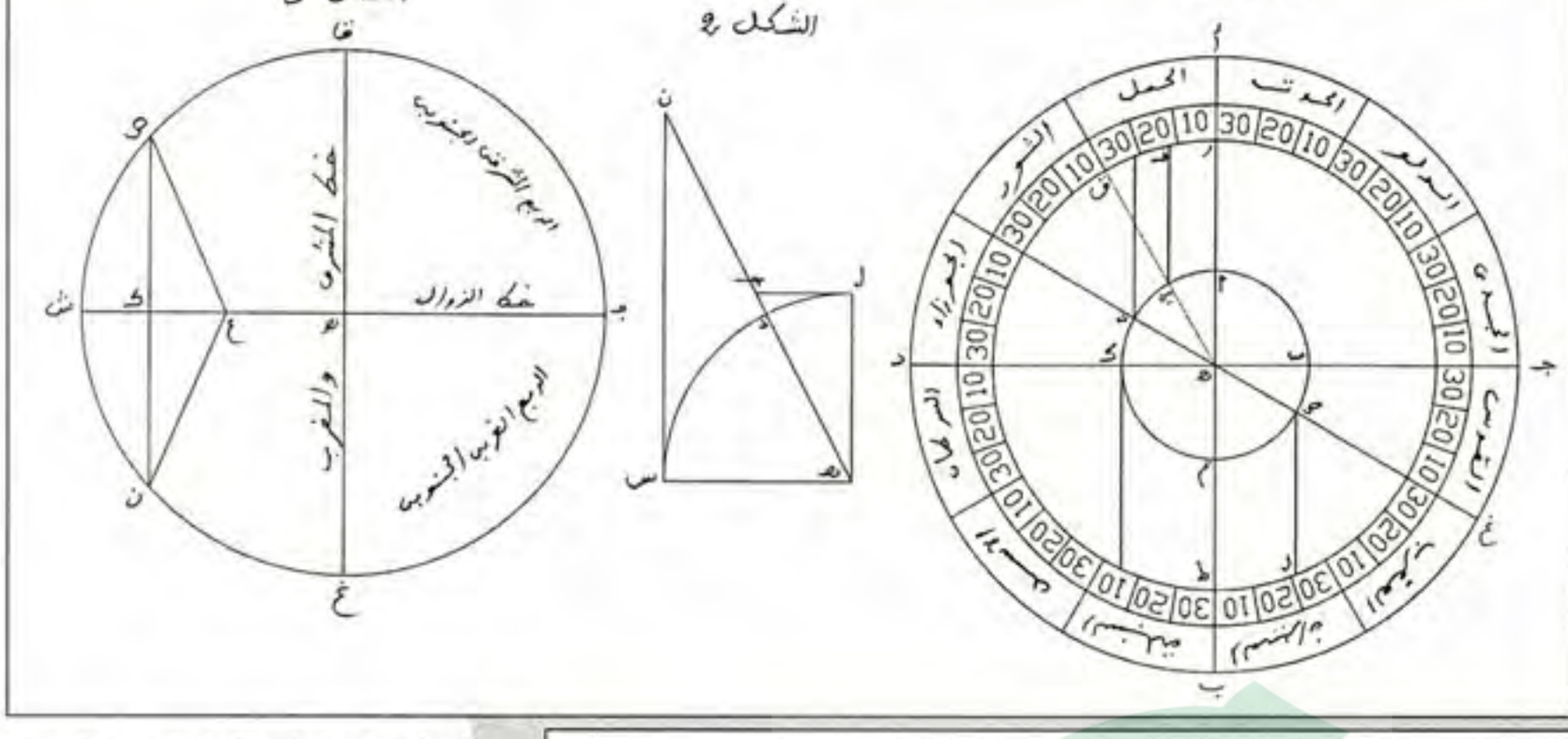

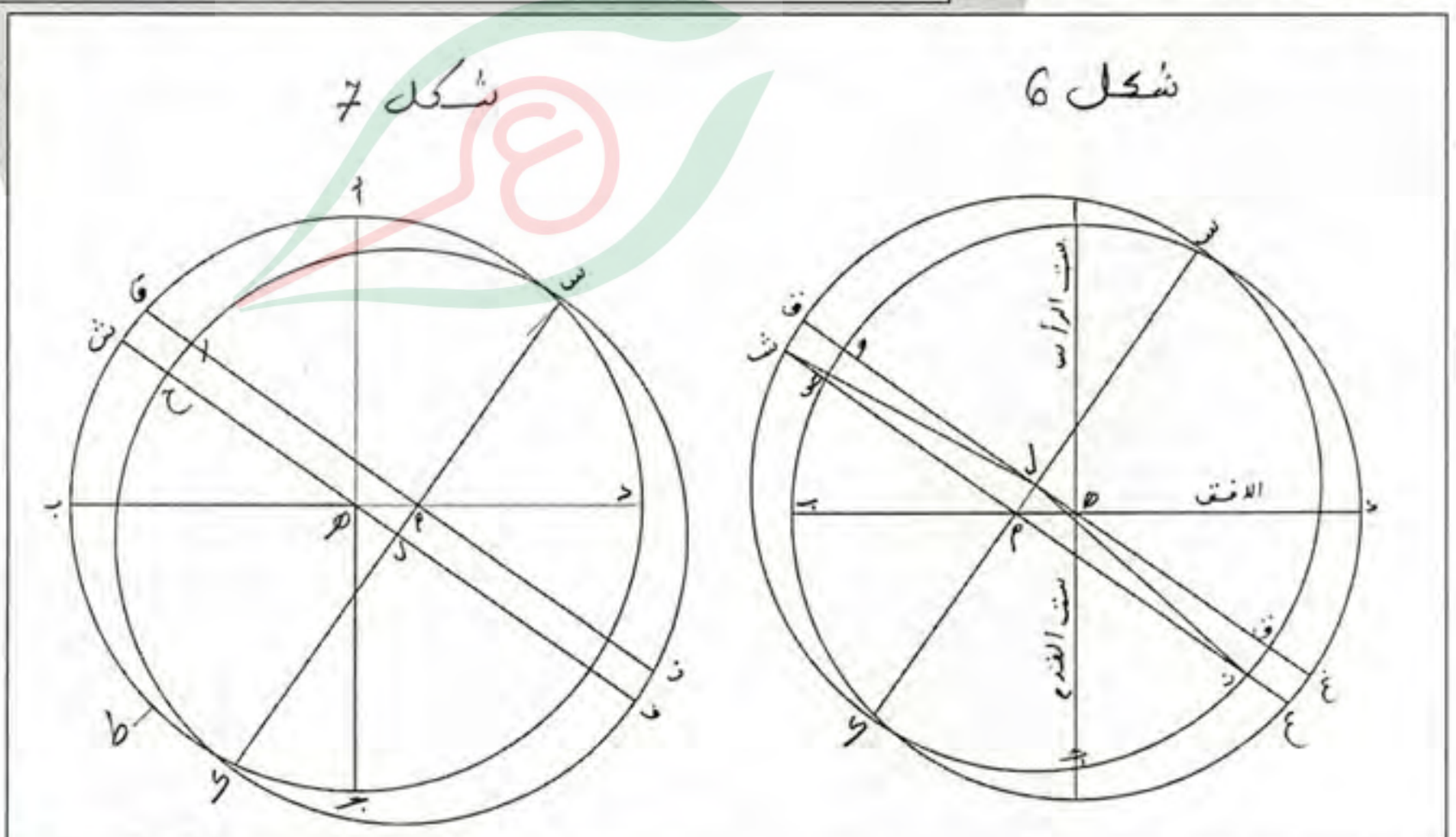

وقوس " د س" يساوي غاية الارتفاع ، وخط "دب" الأفق ، وخط " أجـ" سمت الرأس والقدم ، ثم نقيم خط عموديا على المحور انطلاقا من نقطة الغاية التي هي فسيكون العمود "س ك " ثم نركز في" ل" وندير دائرة " ن ق س ب ك " ، فتكون هذه الدائرة هي دائرة المدار اليومي ، ثم نحدث خطا مستقيما موازيا لمحور العالم يمر عند تقاطع العمود مع الأفق وهو نقطة " م" فيكون الخط " ش ص م ن ع " ، فنصف قوس النهار هو " ن ق س و ص " ونصف قوس الليل هو " ن ك ص " والقوس " ق ن " نصف الفضلة وكذلك " ش ق " ، إذا زاوية " ن ل س " نصف قوس النهار وكذلك زاوية " س ل ش وزاوية.

" ن ل ك " نصف قوس الليل وكذلك زاوية

وفضله يكون على نقطة "ل" حيث تقاطع المحور مع العمود.

نصف قوس النهار والليل والغاية ونصف الفضلة

شكل 7

إذا كان الميل جنوبيا وهو يساوي10درجات، ندير دائرة على مركز " هـ " وهي دائرة " أب ج د " ، ونسميها دائرة نصف النهار، ونقطرها بقطرين على زاوية اربع قائمة ، وهما قطرا " أجـ " وقطر "دب" ، فالأول سمت الراس والقدم ، والثاني الأفق، ثم نبتعد عن نقطة " ب" ونأخذ زاوية العرض وهي " ش هـ ب " تساوي 35؛ درجة ، ونخط خط محور العالم وهو خط "ش هـ ل ف " ، ثم نبتعد عن نقطة "ش" لجهة " ب" في دائرة نصف النهار ، ونأخذ قوسا يساوي تمام الميل يساوي 80؛ درجة ، فيكون قوس "ش ط" ، ثم نضع المسطرة على "ط "

" ك ل ش" لأن نقطة " ل " دائما هي مركز المدار اليومي/

تنبيه:

التركيز في المدار وحسابات الدائرة

برنامج محاضرات المجلس العلمي المحلي للرباط

خلال شهر شعبان لعام 1425هـ

المحاضرات

اسم المحاضر	عنوان المحاضرة	تاريخها ومكانها
إبراهيم الزيتي	من صفات الشباب الصالح نموذجان من الصحابة رضي الله عنهم.	الأربعاء 6 اكتوبر 2004 بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم المكي الناصري بمقر المجلس العلمي
الحسن السكنفل	الاستعداد لرمضان	الأربعاء 13 اكتوبر2004 بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم المكي الناصري بمقر المجلس العلمي

التفسير الإجمالي لسورة النساء

■ إعداد الأستاذ : محمد المهدي بوزيد

■ سورة النساء المدنية من المطولات ، عدد آياتها مائة وستة وسبعون آية. وسميت بسورة النساء لكثرة ما ورد فيها من أحكام النساء . ومما يثير الانتباه أن سورة النساء نزلت بعد سورة (الممتحنة) والتي تتضمن هي الأخرى قضية بيعة النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من الله تعالى. فكأن خبر النساء مسترسل بدأ بالجانب السياسي في الممتحنة وانتهى بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية في النساء الموالية.

أما الأفكار العامة التي تشملها هذه السورة الكريمة.

1 . الفكرة الأولى: وهي عبارة عن افتتاحية أو مدخل عام لكل محتوى السورة إذ استهله الله تعالى بالخطاب لكل النساء رغم أنها مدنية النزول ورغم اشتمالها على قضايا التشريع. وذلك بحسب أصل الخلق الإنساني إذ كله من نفس واحدة ، ثم أكد سبحانه على سواسية الرجال والنساء في الأحكام الشيء الذي كان منعدما عند الكفار وأهل الجاهلية.

وهذه الفكرة العامة يعبر عنها قول الله تعالى من:(يا أيها الناس اتقوا ربكم ...) إلى قوله سبحانه :(... إن الله كان عليكم رقيبا)

الفكرة العامة الثانية : فهو تعبير اجتماعي محض يرتكز على الإعلاء من شأن المرأة ابتداء من العناية بها وباليتيمة منها خاصة منتقلا إلى زواجها وصداقها الذي يحترم ولا يمس بسوء، فوضعيتها بجانب شقيقها الرجل في الإرث على حسب مكانتها من الهالك(بنت،أو أم، أو زوجة ، أو أخت) تبعا لقواعد الإرث في الشريعة.

مع الإشارة في هذه الفكرة إلى العناية باليتيم عامة والتحذير من أكل أمواله بالباطل وذلك ابتداء من قوله تعالى:« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) إلى قوله تعالى :« ... ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين».

3 الفكرة العامة الثالثة: وتشمل تهذيب أمر المرأة الاجتماعي بالتشديد عليها في مسألة الفاحشة والتوبة منها ثم التشديد على الرجل في مسألة معاملته لزوجته بين الترهيب والترغيب، وبعد ذلك تطرق الموضوع إلى تنظيم الزواج بدءا بالنساء المحرمات منتقلا إلى بيان أحكام التشريع في قضايا الزواج معتمدا التخفيف والتيسير على العباد وإبعادهم عن المشقة والمضايقة حتى يستطيع هذا الإنسان الانسجام مع ضعفه عن مقاومة الشهوات الذي خلق بها.

وذلك ابتداءا من قوله سبحانه (وأحل لكم ما وراء ذلكم ، أن تبتغوا...24) إلى قوله سبحانه (... يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا 28)

الفكرة العامة الرابعة : ترتكز على كيفية تنظيم الإسلام لطريقة التعامل مع الآخرين والحفاظ على الأموال من غير اعتداء ، كما أيقظ النفوس من سباتها وأمر بتطهيرها مما تنطوي عليه من صفات قبيحة كالحسد والحقد والبغضاء وتمني أخذ ما لدى الآخرين من نعم وثروات ، وما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال وهذا من قوله تعالى:« ياأيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل 29، إلى قوله سبحانه:« إن الله كان على كل شيء شهيدا33».

5 . الفكرة العامة الخامسة: وتتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية العامة من تنظيم حياة الأسرة إلى وضع مبادئ العلاقات مع كل فئات المجتمع ، فبعد الحسم في أمر الحياة الزوجية كان التنبيه إلى الاهتمام بالوالدين وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ... وغيرهم.

وورد ذلك مقترنا بطلب العبودية لله وحده(أولا) ثم الترغيب من الله تعالى بامتثال أوامره والتحذير من المخالفة والمعاصي والتورط في المنهيات . وذلك كله بين قوله تعالى:« الرجال قوامون على النساء...34» وقوله سبحانه (... ولا يكتمون الله حديثا 42)

6 الفكرة العامة السادسة: تشير إلى تنظيم المنهاج العام للمسلمين وهو عبارة عن توجيه في مجال العبادات ثم المعاملات مركزا على وجوب الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به بغير تردد وان كانت أوامره عسيرة ، وإلا فإن التولي عنه فهو من شأن المنافقين أو المشركين ، أما المشركون فإن الله لا يغفر لهم ، وأما المنافقون فتحدثت عنهم السورة في الأواخر لتوضح أنهم في الدرك الأسفل من النار وذلك من قوله « ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى... 43 » إلى قوله سبحانه (... وكفا بالله عليما70».

الفكرة العامة السابعة : فيها الأمر بالاستعداد الدائم لمكافحة العدو الطارئ مع أخذ الحذر من أعداء الداخل ولعلهم المنافقون، مع وضع قواعد المعاملات بين المسلمين وغيرهم محذرة من ضلالات أهل الكتاب وموقفهم من الرسل عليهم السلام ، لينتهي الكلام ببيان ضلال النصارى بشأن المسيح ابن مريم عليه السلام، وإبعاد الغلو الحاصل في شأن أمه. وهذا المقطع من السورة على هذا النحو يتخلله بين الفينة والأخرى بعض التذكير بالأوضاع الاجتماعية والمالية وغيرها وبذلك ختمت هذه السورة ابتداء من قوله تعالى :« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ...71 » إلى قوله سبحانه :« يبين الله لكم ، أن تضلوا والله بكل شيء عليم 176. نهاية سورة النساء.

تعزية

انتقل إلى عفو الله ورحمته الحاج الطاهر اجديرة عم العلامة عبد الله اجديرة رئيس المجلس العلمي للرباط وتمارة وذلك يوم 2004/9/21م.

والعلماء إذ يتقدمون بتعازيهم الحارة إلى السيد رئيس المجلس العلمي وأولاد الفقيد الدكتور ليتضرعون سعيد ومحمد رضا، وأخيهما أنس وباقي الأخوات والأهل والأصهار ليتضرعين إلى الله العلي القدير أن يلهمهم جميعا الصبر والسلوان ويمطر على الفقيد العزيز شآبيب الرحمة والرضوان .

وانا لله وانا إليه راجعون.

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

آباء يتحسرون .. وأبناء ينفلتون

■ أحيانا أجد نفسي منزويا في ركن مقهى أطالع الصحف، وحدث مرة أن جلس إلى جانبي أب رفقة ولده الصغير ، ومعه ثلة من أصدقائه، وفيما كنت منشغلا بالمطالعة صدمت أذناي كلمة " كذاب" أطلقها الطفل الصغير في وجه والده وكررها مرارا ، فما لفت أحد أصدقاء الأب ولاحظ عليه مويخا فكلمة " كذاب" الصادرة عن طفل لم يتجاوز سنته الخامسة تعني الاستهتار وسوء التربية ، وكيف يكبر هذا الطفل ، ويجد نفسه بكتفين قويين ألا يتشجع ويهاجم أباه ويلعنه، ولم يحاول الأب زجر ولده ، بل تمادى ضاحكا ومعجبا بذكاء الصغير وجرأته.

صحيح أن أولادنا هم أكبادنا التي تمشي على الأرض ، ويجب أن نؤثرهم على أنفسنا لكن ماذا عن تربيتنا لهم ، وقد انطلق الموسم المدرسي وحمل الأطفال حقائبهم الجديدة المملوءة بالكتب المقررة للموسم ، وتوجه الكثيرون منهم إلى المعاهد الأجنبية بتشجيع الآباء والأمهات الحريصين على تكوينهم منذ الصغر على تثقيفهم بالفرنسية لتصبح معبرا لهم إلى معاهد العلم في أروبا ، وليعودوا بعد ذلك إلى بلدهم ليجدوا في انتظارهم أرقى الوظائف ما دامت الدراسة بالعربية غير نافعة ، ولا يهم الآباء والأمهات إن كان أبناؤهم مرتبطين في سلوكهم وتصرفاتهم بالتربية الإسلامية أم لا يهمهم ذلك.

لقد كتب علي أن أعيش سنوات رفقة صديق حميم كان حريصا على إلحاق ولديه بمعهد أجنبي ، بعد اجتياز روض الأطفال ، وفي أحد المساجد وبعد الصلاة كنت أقول له رأيي في طريقة تعامله مع ابنائه وتوجيهه لهم فكان يجيبني قائلا:

. أكنت تريدني أن أحشر ولدي في " المسيد " كما فعل الآباء والأجداد ... لا يا أخي .. اسمع مني إذا قلت لك : إن العربية في زمن أولادنا وهو زمن الكومبيوتر والأنترنت لا تسمن ولا تغني فهي لغة متأخرة جامدة . ثم دارت الأيام وانتقل الولدان إلى الغرب وهما في عنفوانهما ، أحدهما انتقل إلى إحدى الدول الشرقية الأوروبية والآخر انتقل إلى الولايات المتحدة الأمركية ، ولا تسل عن المشقة والعذاب اللتين تحملهما الأب الصديق ، ومن أجلهما باع بعض أملاكه لينفق بثمنها على ولديه وفي كل مرة كنا نلتقي فأسأله عن ولديه فيطمئنني ، إلى أن التقينا إحدى المرات في نفس المسجد الذي التقينا فيه لأول مرة ، شاهدته وحالة الحزن بادية على محياه ، وراعتني حالته سألته : مابك؟ أراك على غير عادتك أجابني : نعم أنا لست بأتمي لقد صدق الله العظيم القائل:« إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، هل تذكر يوم التقينا في هذا المسجد وفي نفس المكان وأنا بصدد إلحاق ولدي بمعهد أجنبي ، وأومأت برأسي.

. نعم كان ذلك منذ سنوات بعيدة

. لقد خاب أملي فيهما بعد أن عاد كلاهما وهما متأبطان بفتاتين تعرفا عليهما هناك فلا أدب ولا أخلاق ولا احترام لقد ذهبت عنايتي وعناية أمهما بهما أدراج الرياح، وانهما يصران اليوم على العودة إلى أروبا والاستقراريها وقاطعته:

. والدراسة هل حصلا على نتيجة إيجابية أو دبلوم

وأطلق حسرة عميقة وقام واقفا وأخذ حذاءه وذهب دون أن يلوي على شيء

إن آباء كثيرين يعيشون نفس المأساة وقد بهرتهم المدنية الغربية بشعاراتها المسؤولة عن حقوق الطفل ، وما علموا أن الإسلام كفل حقوقا عظيمة للطفل ، وأوحى بتعلمهم وتأديبهم ورياضة نفوسهم على محاسن الأخلاق والعادات وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم ، والحديث يشمل الأولاد والبنات.

إن ما نشاهده اليوم من انفلات في وسلوك الفتيان والفتيات في هذا الشارع وذاك لدليل على الغياب المطلق للتربية الإسلامية الأصيلة منذ الصغر في البيت، وفي المدرسة.

إنه بسبب هذا الغياب يتجرع الآباء والأمهات الحسرة والندم، ويلقون باللائمة على بعضهم .

أهمية المساجد والمدارس والزوايا في تشجيع الحركة العلمية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين

■ إعداد الدكتورة ربيعة بنويس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة

الحلقة الثانية

■ لا يخلو أي مؤلف تناول التصوف والمتصوفة بالمغرب من الإشارة إلى الرباط أو الزاوية . فما هي الزاوية؟ ولماذا مقارنتها بالرباط ؟ وما هي الأدوار والوظائف التي اضطلعت بها؟

إن الزاوية ، حسب تعبير الدكتور إبراهيم حركات ،" تمثل تطورا للرباطات التي عرفها المغرب الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي . وقد خصص مجموعة من الدارسين فصولا من أبحاثهم للحديث عن مفهوم الرباط والزاوية ووظائفهما ، ومن أهم هذه الدراسات نذكر مؤلف الدكتور محمد مفتاح تحت عنوان " الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية" الذي انتقد فيه أغلب ما ورد بـ " دائرة المعارف الإسلامية " في شأن الرباط والزاوية ، مفهوما ووظيفة .، ثم أعطى المعاني اللغوية والإصطلاحية للرباط ثم المعاني اللغوية والإصطلاحية للزاوية ، محاولا من خلال ذلك ربط العلائق بين الكلمتين ، ليقوم بعدها بجرد لأهم الربط والزوايا بالمغرب إلى حدود القرن الثامن الهجري.

أما الدراسة الثانية فهي لـ " الدكتور عبد اللطيف الشاذلي " الذي خصص الفصل الثالث من الباب الثاني من مؤلفه " التصوف والمجتمع " للحديث عن الربط والزوايا ، مبتدئا بالتي وجدت إلى القرن السادس الهجري مع جرد أهمها منتهيا إلى أن لفظ الزاوية لم يكن قد شق طريقه إلى المغرب في هذه الفترة . ثم بعد ذلك قدم جردا للربط والزوايا إلى القرن الثامن الهجري ، وخلص من خلال ذلك إلى " أن هناك ترادفا للفظين" ، وانتهى به المطاف للحديث عن الزوايا خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة مشيرا إلى الانتشار الكبير لهذه الزوايا، ذاكرا خلال ذلك الأدوار التي كانت تقوم بها ، وبعدها نجد الدراسة التي قام بها الدكتور " محمد ضريف " ، وهي بعنوان " مؤسسة الزوايا بالمغرب " ، تناول خلالها علاقة الزوايا بالسلطة ، ثم نشأة هذه الزوايا ومرتكزاتها ، خالصا إلى أن " مؤسسة " الزوايا " شهدت النور لأول مرة على يد المخزن المريني الذي ساهم في دعمها وتقويتها".

كما حاول تفكيك الجسم الصوفي متحدثا عن الرباط ونشأته ووظائفه ، ثم تحدث عن الطريقة ومدلولاتها وبعض وظائفها ، وأهم الطرق التي عرفها المغرب منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي . وأخيرا تطرق للزاوية مبينا موقعها في الحقل السياسي/ الديني . ومبرزا دورها في مواجهة طموح الدولة الشرفاوية ، منتهيا إلى مجالات الزاوية ووظائفها ، متحدثا خلال ذلك عن بعض الزوايا التي عرفها تاريخ التصوف المغربي ، سواء في علاقتها مع المجتمع أو مع السلطة.

وبعد هذه الدراسات، وغيرها كالزاوية الدلائية للدكتور محمد حجي ، والزاوية الفاسية للدكتورة نفيسة الذهبي التي ركزت بصفة أكبر على مدينة فاس .، لا بأس من الإشارة إلى المجهودات التي قام بها الدكتور إبراهيم حركات في هذا الباب ، حيث حاول في مجموعة من أبحاثه أن يعطي بعض المفاهيم للرباط والزاوية ، ويذكر بعض الوظائف التي اضطلعا بها وتطور هذه الوظائف من قبل العصر المريني حتى نهاية العصر السعدي ، انطلاقا من هذه الدراسات ومن بعض الأبحاث المتفرقة هنا وهناك في الكتب والمجلات ، يلاحظ" تداخل كبير في مضمون الرباط والزاوية ، لذلك كان كل منهما يطلق على الآخر ، ما عدا بعض المنشآت الحكومية التي بنيت في المدن الكبرى والتي سميت بداية بالزوايا".

غير أن الملاحظة التي تجدر الإشارة إليها ، هو أن الرباط لفظ أطلق بكثافة قبل العصر المريني على الأماكن والحصون المعدة أصلا لمراقبة العدو وجهاده، والتي كانت تقام فيها بعض الشعائر الدينية من صلاة واعتكاف على العبادة وتعليم بعض الدروس الدينية والشرعية بل هذه الربط اعتبرت عنصرا مهما في الشبكة الصوفية بما تسهله من اتصال بين العناصر الرئيسية في هذه الشبكة ، وبما تشكله من نقطة اتصال بين شيوخ التصوف والمريدين والراغبين في سلك الطريق».

أما الزاوية فلم تظهر بالمغرب إلا في العصر المريني مع أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي القشتالي في مؤلفه " تحفة المغترب ببلاد المغرب » ، وكان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني أول من أمر ببنائها ، قاصدا من وراء ذلك » أن يجعلها بمثابة دور لاستقبال الغرباء والوافدين من الخارج من كبار رجال الدولة وأعيانها».

وكانت هذه الزاوية عادة ما تبنى في المناطق النائية وفي الفلوات ، فأصبحت ، بالإضافة إلى رجال الدولة الذين يمرون بها، مزارا للكثير من المسافرين والمحتاجين والفقراء الذين يبحثون عن المأوى والطعام، ولعل هذا ما عبر عنه ابن مرزوق في مسنده حين قال » والظاهر أن الزوايا عندنا بالمغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين».

فمسألة الجوع كانت حاضرة على الدوام بالمغرب بسبب المجاعات والأوبئة التي كان يتعرض لها من حين لآخر، لذلك كانت هذه الربط والزوايا، الملاذ المقصود للتخفيف من وطأة الجوع، وكان الأمراء والسلاطين من بني مرين يساعدونها في عملية الإطعام والضيافة، وذلك رغبة منهم في اكتساب ود المتصوفة بالتقرب إليهم، ومن هؤلاء ، إضافة إلى أبي الحسن، نذكر أبا يوسف الذي" بنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات " ، وأبا عنان الذي كان " يهتم كثيرا برجال التصوف والصلاح ويبحث عنهم أينما كانوا فيحل بجانبهم » ، كما قام ببناء الزوايا داخل أرجاء المغرب وخارجه في كل من فاس وتلمسان وسلا وسبتة ، حتى " اشتهر عند مؤرخيه ببناني الزوايا» ، وزودها بما تحتاجه من الطعام اليومي ، إضافة إلى محاولته الاجتماع ببعض المتصوفة وزيارة أضرحتهم، ويؤكد الدكتور " محمد فتحة" ، أن إنجازات بهذا الحجم، كانت تعبر عن اهتمامات خاصة بهذا السلطان ، نعتقد أنها محاولة من طرفه لتوجيه التصوف وفق مصالح الدولة» ، أي أن المرينيين كانوا على وعي بخطورة الاتجاه الصوفي وزواياه ، لذلك عمل أغلب ملوكهم على احتوائهم مظهرين العطف نحوهم ، مهتمين بزواياهم ، مغدقين عليها أنواع الهبات والعطايا.

فالزاوية إذن مؤسسة اجتماعية ودينية في نفس الوقت ، بل يمكن القول بأنها لعبت دورا مكملا لدور المسجد ، حيث كانت تقام الصلوات الخمس، وقد استمر هذا حتى العصر الحالي، وهذا ما حاول المرحوم عبد الله كنون أن ينبه إليه حين قال متحدثا عن الزاوية الناصرية بطنجة» وهذه الزاوية كانت وما تزال لها صبغة المسجد العمومي، وتقام بها صلاة الجمعة، ولا تفترق عن المساجد إلا بالقبور التي فيها» . وخاصية الصلاة في الزاوية ستنسحب حتى على الزاوية الجبشية بمدينة تازة ، نسبة لصاحبها سيدي محمد بن يجبش التازي التي هي إلى الآن مكان تقام به الصلوات، إضافة إلى وجود مقبرة صاحبها التي يزورها الكثير من الأفراد للتبرك بها وللاستشفاء من بعض الأمراض.

انطلاقا مما ذكر، تعد الزاوية " المكان المعد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم » . إلا أن هذا التعريف يبقى ناقصا إذا ما أغفلنا الجانب التعليمي الذي كانت تقوم به هذه الزوايا أو على الأقل بعضها ، وإن كان هذا الجانب يقتصر في الغالب على الناحية الدينية، ومن ثم نشر بعض تعاليم الصوفية ، حيث قام بعض الشيوخ ، الذين كانوا على جانب كبير من العلم، بتدريس بعض الطلبة ونشر طرقهم من خلالهم، كما كان الشأن بالنسبة للجزولي الذي استطاع أن يكون شبكة كبيرة من المريدين الذين انتشروا في مختلف أنحاء المغرب بمدنه وقراه ، عاملين على نشر مذهبه الذي استطاع أن يقلب الموازين في البلد لصالح الأشراف السعديين.

ومن هنا نلاحظ بأن هذا النوع من الزوايا خرج من قبضة المذهب الرسمي للبلاد ، مادام هذا المذهب لم يعد قادرا أن يعيد لها هيبتها أمام الاحتلال البرتغالي والإسباني الذي هدد السواحل والثغور المغربية، وهذه المرة ، ستأخذ الزاوية دورا جديدا، إنه الدور السياسي والعسكري الذي اضطلعت به أمام تدهور الأوضاع خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ذلك أن الزاوية ، وعلى حد تعبير الدكتور محمد ضريف تنشط وتقوى فاعليتها في » حالة الإحساس بغياب السلطة المركزية ، وهذا ما حدث بالفعل خلال المرحلة المدروسة ، إذ انشغل الوطاسيون والسعديون بالصراع فيما بينهم حول الحكم والسلطة ، متجاهلين أمور الرعية في وقت نشطت فيه الغزوات الأجنبية ضد السواحل والثغور المغربية ، الشيء الذي أدى إلى سقوط الكثير من المدن في أيدي البرتغال ، فكانت الرباطات والزاوايا حين ذاك ، هي المتزعمة للجهاد والدفاع على البلاد وأهلها. وهكذا لم يعد » موقف الصلحاء في هذا العصر سلبيا أمام الأحداث المؤلمة التي كان المغرب مسرحا لها ، فقاموا ينظمون في كل مكان تعرض للخطر الأجنبي حملات جهادية يقاتلون فيها بأنفسهم، كما يجمعون لها الاكتتابات ويتولون مفاداة الأسرى».

وكان أغلب هؤلاء الصلحاء من العلماء الأجلة الذين لهم باع في العلوم الدينية من فقه وأصول ، وفي العلوم اللغوية وغيرها، ولا بأس أن نذكر منهم " محمد بن أحمد بن غازي المكناسي" ، الذي كان » من مشاهير العلماء العاملين.. تولى رياسة العلم والفتيا بمدينة فاس، والإمامة بجامع القرويين ، وكان رضي الله عنه غزير العلم وكثير الرواية.. وكان صدرا في جميع العلوم، ومشايخ فاس كلهم يروون عنه ويعظمون روايته» ، توفي بفاس سنة تسع عشرة وتسعمائة للهجرة ، وقد وصفه محمد بن تاويت بأنه » يمثل ذروة العلماء الذين كانوا لذلك العهد حاملين راية الجهاد معا» . ثم" أبو زكريا يحيى بن بكار " الذي كان من كبار الأولياء فقها ومعرفة وزهدا، كما أنه كان يمد أهل الثغور بالخيل والعدة.. وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الأفاق يفرقها على يده في وجوه البر، وأكثرها في الجهاد في سبيل الله وفكاك الأسرى المسلمين». ونذكر أيضا " علي بن عثمان الشاوي" الذي استشهد في إحدى المعارك ضد النصارى على مقربة من أصيلا.

من هنا نلاحظ بأن الحركة العلمية والحركة الجهادية ضد العدو كانتا متلازمتين ولا يمكن الفصل بينهما، إذ العلماء هم الذين يقدرون خطر الاحتلال الأجنبي على الدين وعلى الشعائر الإسلامية .، وبالتالي على الوطن الذي يعيشون فيه ، ومن ثم يستطيعون التأثير في مريديهم وأتباعهم للقيام بدرع هذا الخطر.

فالزاوية ، إذن ، تقلدت في أحلك فترات التاريخ المغربي ، مهمة الغزو للقضاء على الخطر الخارجي ، وبذلك أصبح لها " عمل إيجابي لإنقاذ الإسلام بدلا من الاكتفاء بتلاوة الأحزاب والأذكار ... والفوز بإعجاب القرويين وأهل الحرف في المدن». بل كثير من الصلحاء وأصحاب الزوايا كانوا يؤلفون المؤلفات وينشدون القصائد في الجهاد محاولين من خلالها إثارة حماس الشعب وحميته ، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال ، الشيخ" محمد بن يجبش التازي " الذي ألف " كتاب الجهاد" ، ومما ورد فيه "... ما هذه الغفلة على إخوانكم يا معشر المسلمين، وهم منتظرون إليكم في كل وقت وحين ، لا يشبعون في طعام ، ولا يجدون راحة في المنام ، فما حال من يبيت في السلاسل مغلولا وبالقيود والأغلال معقولا .. أين أرباب الهمم العالية ، أين أصحاب النفوس الزاكية ، أين أرباب العقول ، بائعون نفوسهم في نصرة دين الحبيب الرسول».

وقد ضمن هذا الكتاب قصيدته التالية في الحض على الجهاد ، والتي نال آله من أجلها تقدير ملوك العلويين ، تلك القصيدة التي كانت تنشد في البوادي والمدن ومختلف البقاع المغربية، بهدف تحريك الضمير المغربي المسلم للنهوض ضد المستعمر البرتغالي ، يقول منها

ولم أستطع صبرا ، وكيف يصح لي
وقد هتكت من ديننا كل حرمة
وشاركنا الأعداء في قطر غربنا
وقد أخذوا جل البلاد البهية
وقد أرعبت تلك السواحل منهم
وصارو يؤدون الخراج كجزية

من هنا نخلص إلى أن الزاوية أخذت أبعادا متعددة ووظائف مختلفة تنوعت بين الاجتماعية (الإيواء والإطعام) والدينية (الصلاة وإقامة الشعائر الدينية والطقوس الصوفية بما فيما من تلاوة الأوراد والأذكار) والتعليمية (خصوصا في البوادي حيث انعدام المدارس وقلة المساجد التي تقوم بدور التعليم) والسياسية والعسكرية.

من مستجدات مدونة الأسرة سنة 2004: مسطرة الشقاق بين الزوجين و آليات التطبيق والتفعيل

■ إعداد الأستاذ : إدريس اجويلل

الحلقة الثانية

■ يتبين لنا من هذه المادة: أن مراحل معالجة الشقاق بين الزوجين قبل الإذن بالتطليق تمر بمجموعة من الآليات منها:

الآلية الأولى : حضور الطرفين (الزوج والزوجة) شخصيا أمام محكمة الأسرة في غرفة المشورة ، وعلى قاضي الأسرة أن يستعين بجميع القرائن اللازمة لحل الشقاق مبدئيا بين الزوجين ، من ذلك استماعه إلى الشهود وكل من يرى في الاستماع إليه فائدة وقد يكون هؤلاء الشهود من جيران الزوجين أو من الأقارب أو غيرهما ، كل ذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة وإعطاء كل ذي حق حقه وتجنب الأسرة مخاطر الطلاق ؛ فإذا ظهر الظلم من الزوج أو الزوجة فظهور الظلم لا ينافي النكاح، بل يؤخذ من الظالم حق المظلوم ويبقى العقد كما قال العلماء.

الآلية الثانية : انتداب الحكمين . يتعين على المحكمة عند انتدابها للحكمين أن تأخذ في حسبانها كون الحكمان من أهل الزوجين إن أمكن يتصفان بالعقل والبلوغ وحسن الاستقامة والمروءة، وإذا لم يوجد من أهل الزوجين من يقوم بمهمة الحكمين على المحكمة أن تختاره أجنبين ممن لهما خبرة بحال الزوجين ولهما قدرة على الإصلاح والتوفيق فيما بينهما ، ويستحسن أن يكون هذين الحكمين من جيران الزوجين.

ومن الملاحظ على نص المادة 82 في انتدابها للحكمين أنها لم تبين الشروط التي يمكن أن تشترط في الحكمين وكذا المواصفات التي قد تعتمدها المحكمة في ذلك ، مما يطرح التساؤل التالي ، ما هو الحكم إذا عينت المحكمة حكمين رجلا وامراه أو عينت امراتان، كان عليها أن تبين هذا الغموض تجنبا لكل تأويل أو تفسير خاطئ وتمشيا مع ما نصت عليه بعض قوانين الأحوال الشخصية للدول العربية عندما اشترطت شروطا معينة في الحكمين.

فقد نصت المادة السابعة من ق .ا. الشخصية المصري على انه يشترط في الحكمين أن يكونا عدلين من أهل الزوجين إن أمكن وإلا فمن غيرهما ممن لهما خبرة بحالهما وقدرة على الإصلاح بينهما ، ونفس الشيء نص عليه ق .ا ش الأردني في الفقرة الثالثة من المادة 132: يشترط في الحكمين أن يكونا رجلين عدلين قادرين على الإصلاح وأن يكون أحدهما من أهل الزوجة والآخر من أهل الزوج إن أمكن وإن لم يتيسر ذلك حكم القاضي رجلين من ذوي الخبرة والعدالة والقدرة على الإصلاح.

لقد ذهبت محكمة النقض المصرية في الطعن رقم 98 لسنة 6 ق أحوال شخصية في جلسة 1993/3/27 على أن ذكورة الحكام شرط لولايتهم ، علة ذلك ، بعث المحكمة حكاما من بينهم امراة، أثره ، بطلان التقرير المقدم منهم واستناد الحكم إلى التقرير في قضائه مؤداه بطلان الحكم.

فعلى الحكمين أن يتفهما أسباب الشقاق والخلاف بين الزوجين ويبذلا جهدهما في الإصلاح بينهما بأية طريقة يريانها مفيدة ومجدية ، لأن الصلح خير كما قال تعالى« إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما».

الآلية الثالثة : انتداب مجلس العائلة وكل من تراه مؤهلا ومناسبا لإصلاح ذات البين بين الزوجين ، كل ذلك من أجل تدعيم مكانه استقرار الأسرة واستقصاء أسباب الخلاف بين الزوجين حسب ما نصت عليه المادة 95 من المدونة.

الآلية الرابعة : قيام المحكمة نفسها بإصلاح ذات البين بين الزوجين وذلك في حالة وجود أطفال في محاولتين اثنتين ، بين كل محاولة مدة لا تتجاوز 30 يوما.

الآلية الخامسة : دور النيابة العامة في مسطرة الشقاق ، حيث يجب حضور النيابة العامة كطرف أصلي في مسألة الشقاق بين الزوجين تطبيقا للمادة الثالثة من المدونة التي تنص " تعتبر النيابة العامة طرفا" أصليا في جميع القضايا الرامية إلى تطبيق أحكام هذه المدونة". ويمكن أن نستنتج مما سبق عرضه ما يلي:

النتيجة الأولى : في حالة عدم وصول الحكمين أو من عينته المحكمة من أجل التصالح بين الزوجين إلى نتيجة إيجابية يحرر في ذلك محضر مستوفيا للشروط القانونية ويتضمن هذا المحضر تصريح الزوجين ، وهو يتهما الكاملة بما في ذلك الإسم العائلي والشخصي والمهنة ومقر العمل والسكنى ، ووضعيتهما المادية، وهل هناك أطفال أم لا وكون الزوجة حامل أم لا ومسؤولية كل من الزوجين عن سبب الفراق وسبب الشقاق ، وفشل محاولة الصلح. وما إلى ذلك من البيانات الأساسية التي قد تساعد محكمة الأسرة في تحديدها لواجب النفقة والعدة والتمتع . حسب مقتضيات المواد 83. 84. 85. 97. 168. 189. 191. من المدونة وتودع مستحقات الزوجة والأطفال الملزم بالنفقة عليهم في أجل اقصاه 30 يوما بكتابة الضبط لدى محكمة الأسرة ، ويفصل بصفة عامة في دعوى الشقاق . في أجل لا يتجاوز ستة أشهر من تاريخ تقديم الطلب، عكس ما كان عليه الأمر في السابق إذ كانت المرأة حتى تحصل على تطليقها من المحكمة عليها أن تنتظر أعواما كثيرة.

النتيجة الثانية : في حالة وصول الحكمين إلى نتيجة إيجابية عكس الأولى يحررمحضر من ثلاث نسخ ، ويوقع عليه كل من الحكمين والزوجين ويرفع ذلك إلى محكمة الأسرة التي تسلم لكل واحد من الزوجين نسخة من المحضر المذكور ، وتحفظ النسخة الثالثة في الملف ويتم الإشهاد على ذلك من طرف المحكمة . فقد نصت المادة 95 " إذا توصل الحكمان إلى الإصلاح بين الزوجين حررا مضمونة في تقرير من ثلاث نسخ يوقعها الحكمان والزوجان ويرفعانها إلى المحكمة التي تسلم لكل واحد من الزوجين نسخة منه، وتحفظ الثالثة بالملف ويتم الإشهاد على ذلك من طرف المحكمة.

المحور الثالث : تفعيل مسطرة الشقاق بين الزوجين

من أجل تفعيل وتطبيق مسطرة الشقاق بين الزوجين هناك مجموعة من الحالات أخضعها المشرع المغربيا تطبق في شأنها مسطرة الشقاق ومن ذلك ما يلي:

أولا : حالة تمسك الزوج بطلبه الإذن بالتعدد رغم عدم موافقته المراد التزوج عليها وعدم طلبها للتطليق م 45.

ثانيا : إخلال أحد الزوجين بالحقوق والواجبات المتبادلة بينهما والمنصوص عليها في المادة 51 من المدونة.

ثالثا : ادعاء الزوجة أن زوجها يضربها دون إثباتها لذلك الضرر بكل وسائل الإثبات المنصوص عليها قانونا م 100.

رابعا : حالة إصرار الزوجة على طلب مخالعة زوجها وعدم استجابة الزوج لذلك.م. 120

خامسا : امتناع الزوجة من الرجوع إلى بيت الزوجية بعد استدعائها من طرف المحكمة وقبل خطاب القاضي على وثيقة الرجعة تطبق مسطرة الشقاق المنصوص عليها في المادة 124.

ومما سبق يمكن القول إن التطليق الناتج عن مسطرة الشقاق هو طلاق بائن لا يمكن للزوج فيه أن يراجع زوجته إلا بعد استيفاء الشروط المنصوص عليها في المادة 13 من مد ونة الأسرة، كما أن المدونة قد سايرت المذهب المالكي في طلب التفريق للشقاق بين الزوجين . وعلى غرار ذلك نصت المادة 122 كل طلاق قضت به المحكمة فهو بائن إلا في حالتين التطليق للإيلاء وعدم الإنفاق.

وبالمذهب المالكي أخذ القانون المصري للأحوال الشخصية في المادة6 . وكذلك القانون الأردني للأحوال الشخصية في المادة 132.

وخلاصة القول أن آليات التفعيل والتطبيق لمدونة الأسرة يستلزم وبالضرورة وجود جهاز قضائي متماسك مؤطر تأطيرا علميا وأخلاقيا ، مختصا في قضايا الأسرة حتى يكون قدوة حسنة في حل النزاع والشقاق في إطاره الأخلاقي والتضامني.

كذلك يجب على مكونات المجتمع المدني من مساجد وجمعيات ومنابر إعلامية ومؤسسات تربوية وأحزاب سياسية القيام بواجبهم تجاه المواطنين عن طريق عقد الندوات والمحاضرات والدورات التدريبية من أجل الفهم الصحيح لنصوص المدونة والتوعية بمضامينها وأهدافها وأبعادها.

فيما يجب على المرأة من الستر في الصلاة

الإمام أبو وليد محمد ابن رشد

قال الله عز وجل « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، سورة النور الآية 31 ، وقال الله تعالى « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين» سورة الأحزاب الآية:59. فلما أمرت المرأة الحرة بالستر من الأجنبيين وأن لا تبدي عند غير ذي المحرم منها من زينتها إلا ما ظهر منها ، وهو الوجه والكفان على ما قاله أهل العلم بالتأويل ، وجب عليها مثل ذلك في الصلاة سنة واجبة لا ينبغي لها تركها ، فأقل ما يجزئها من اللباس في الصلاة الخمار والدرع السابغ الذي يستر ظهور قدميها على ما قالته أم سلمة رضي الله عنها للتي سألتها عما تصلي فيه المرأة من ثياب . ولا يجوز لها أن تصلي في ثوب خفيف يصف جسده، ولا في ثوب صفيق رقيق يلتطيء بها فيصف خلقها ، لأنها إذا فعلت ذلك كانت كاسية في حكم العارية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام». فإن فعلت ذلك أو صلت بادية الشعر أو الصدر أو الذراعين أو القدمين أعادت في الوقت . وأما الأمة فحكمها فيما يجوز لها أن تصلي فيه من الثياب حكم الرجل إلا في وجوب ستر فخذها ، إذ لا اختلاف في أن الفخذ من المرأة عورة . وإنما اختلف في الفخذ من الرجل فروى ابن عباس وجرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الفخذ عورة » وقال أنس بن مالك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذه صلى الله عليه وسلم ، فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخاري حديث أنس أسند وحديث جرهم أحوط حتى يخرج من اختلافهم . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في حائط بعض الأنصار مدليا رجليه في بئرها وبعض فخذه مكشوف فدخل عليه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهو على حاله لم ينتقل عنها حتى دخل عثمان فغطى فخذه وقال:«ألا أستحي ممن استحيت منه ملائكة الرحمن »فإن صلت الأمة مكشوفة الفخذ أو السرة. لأنها منها أيضا عورة أعادت في الوقت ، واختلف إن صلت مكشوفة البطن فقال أصبغ لا إعادة عليها ، وقال أشهب تعيد في الوقت، وكذلك الرجل عنده ، وهو بعيد ، وإن صلى الرجل مكشوف البطن والظهر فلا إعادة عليه في المشهور في المذهب ، وإن صلى مكشوف الفخذ تخرج وجوب الإعادة عليه في الوقت على الاختلاف فيه هل هو عورة أم لا . والذي أقول به أن ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في الفخذ ليس باختلاف تعارض ، ومعناه أنه ليس عورة يجب سترها فرضا كالقبُل والدبر ، وأنه عورة يجب سترها في مكارم الأخلاق ومحاسنها فلا ينبغي التهاون بذلك في المحافل والجماعات ، ولا عند ذوي الأقدار والهيآت ، فعلى هذا تستعمل الآثار كلها واستعمالها كلها أولى من بعضها.

مقاصد سنة الابتلاء وأثرها العقدي

دور العقيدة في مدافعة سنة الابتلاء:

■ إعداد الأستاذ : الزايدي طويل

إن العقيدة الصحيحة إذا رسخت في النفوس واستحكمت في القلوب وتشربتها العقول صمد صاحبها أمام كل ما يلم به من ألوان المحن والشدائد والبلايا فالابتلاء بالسراء والضراء هوامتحان لجوهر العقيدة وصقل لها ، فمن قويت عقيدته دفعت عنه كل ما يعرض له من شهوات وشبهات يقول ابن قيم الجوزية واصفا ذلك « ... وهذا حال الصادق في توحيده ، الذي لم يشرك بالله شيئا فاي ذنب أو شهوة دنت من هذا النور أحرقها فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته ، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لابد منها للبشر فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه أو حصل لضعافه بكسبه ، فهو هكذا أبدا مع لصوص الجن والإنس ، ليس كمن فتح خزانته ، وولى الباب ظهره...»

فهذا المشهد الرائع الذي صور الإمام ابن قيم ، شاهدناه من خلال قصة يوسف في أشد الفترات وأحلك الأزمات حينما تعرض للمراودة من طرف امراة العزيز فلم يبال بما عرض عليه بل تحدى وقاوم . بقوة العقيدة. فانصرف قلبه عن الشهوة والعشق الذي اكتوت به هذه المرأة: يقول ابن تيمية موضحا دور العقيدة : ولهذا لما كان يوسف عليه السلام محبا لله تعالى مخلصا له الدين لم يبال بذلك . بل قال تعالى : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ».

وامرأة العزيز كانت مشركة هي وقومها ، فلهذا ابتليت بالعشق ، وما يبتلى بالعشق أحد إلا نقص توحيده وإيمانه ، وإلا فالقلب المنيب إلى الله تعالى يصرف عن العشق.

إن تمحيص العقيدة واختبارها لم يتخلف في فرد من الأفراد ولا أمة من الأمم فهي سنة الله في عباده . ونقف أمام نموذج آخر من الأنبياء السابقين ، إذ كان مثالا للعبودية الحقة ، والطاعة الخالصة ، فظل شاكرا صابرا محتسبا لله، فلم يضق درعا مما لحقه من مكروه في أهله وماله ونفسه . إنه أيوب عليه السلام. فقد ظل رمزا لشموخ الإيمان ، مثلا في الصبر والتحدي وعزاء للمصابين المكروبين قال تعالى: (وأيوب إذا نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين.» سورة الأنبياء / الآيتان 83.82.

فلما تبين إخلاصه لله تعالى ، ورضاه بقضاء الله وقدره ، كشف عز وجل الضر عنه ووهبه الصحة والعافية ورد عليه الأهل والمال ، فاستحق الثناء منه لقوة عقيدته وجميل صبره ، يقول سيد قطب في تفسير الآية السابقة عقب قوله تعالى: « ذكرى للعابدين» : فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء ، وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان ، والأمر جدٌ لا لعب ، والعقيدة أمانة لا تسلم إلا للأمناء القادرين عليها المستعدين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الشفاه ولا دعوى يدعيها من يشاء.

ويطلعنا القرآن الكريم على فئة من أهل العقيدة. سحر فرعون. حينما أعلنوا استسلامهم لرب العالمين أمام الملأ وبحضرة فرعون ، وهم يواجهون فتنة أدهى وأمر ، إنها القتل والتصليب والتنكيل ، فاستهانوا ببطشه و جبروته وصدعوا بكلمة الحق والإيمان ويذكر القرآن بهذا الموقف الخالد ، « قالوا إنا إلى ربنا منقلبون، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين».

وحينما نستعرض آيات القرآن الكريم ونستقرؤها نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام ابتلي بألوان من المحن (مع أبيه . وقومه. وابنه) فصبر على إعراض أبيه وقسوته وتهديده وظل يدعوه إلى الهدى والتوحيد ، وينصحه ويعظه قال تعالى حكاية عنه « يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصيا ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطان وليا».سورة مريم/ الآيتان :125.124.

كما دعا قومه للإيمان بالله تعالى، محاولا إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلم يجد منهم آذانا صاغية ، فبدى منهم الإعراض والاستكبار والعداوة والتكذيب ، فلم يضعف ولم يفتر ولم يجزع فمضى في دعوته، بل عمد إلى تكسير أصنامهم لتخليصهم من عقائدهم الفاسدة، فأجمعوا على التخلص منه ومعاقبته بأقسى العقوبات (الإحراق بالنار) بعد أن أفحموا في مناظرته، فعصمه الله من تلك المحنة» قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين». سورة الأنبياء الآيتان: 69.68.

أما عن امتحانه في شأن فلذة كبده إسماعيل بالذبح حينما رأى الرؤيا . لأنها وحي . فامتثل أمر ربه وهو في غاية التصديق والتسليم ويذكر سيد قطب الحكمة من هذا الابتلاء « والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء ، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف وقد أديا وحقا وصدقا : (ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم.) سورة الصافات الآيات 107.104.

لقد كان جزاء قوة إيمانه وعقيدته كشف البلاء عنه وفديته بذبح عظيم وتبشيره في شيخوخته بإسحاق، فكان الجزاء بالوفاء والذكر والتكريم ، ومضت سنة التكريم هذه في الأمة الإسلامية . سنة النحر. جزاء اختبار أب الأمة.

إن الناظر إلى سنة الابتلاء هذه ليدرك مدى تدرجها مع قوة العقيدة ، من محنة الأب إلى محنة الابن مرورا بفتنة القوم ، وتوفق إبراهيم عليه السلام فيها جميعا ليبقى رمزا لأمته وللأجيال عبر الحقب والعصور.

ويأتي خاتم الأنبياء والرسل ، وتتكرر هذه السنة حينما نعت بالمجنون والشاعر والساحر وكلها أساليب نفسية تعتمد التهم والشائعات ، فلم يزده ذلك إلا ثباتا وعزيمة ، فلجأ قومه إلى أسلوب المساومة بالمال والجاه والسلطان فأعرض عن كل ذلك ومضى في دعوته.

ولقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين ألوانا من المحن بعد الهجرة سواء من المنافقين أم من الكفار . كما هو الشأن في (غزوة أحد) و(غزوة الخندق) . فما لان ولا استكان ، إنها معارك العقيدة الماضية في الأجيال قال تعالى : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين «سورة آل عمران الآية: 137.» إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس. وليعلم الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين». سورة آل عمران / الآية :140.

يقول الأستاذ الإمام : فإذا السنن التي قد خلت من قبلكم تبين لكم كيف كانت مصارعة الحق للباطل ، وكيف ابتلى أهل الحق أحيانا بالخوف والجوع والانكسار... ثم كانت العاقبة لهم»

إن الإيمان مسؤولية وأمانة لا تمنح إلا إلى أهلها الأصفياء المتجردون عن المتاع والإغراء والراحة والدعة ، فكان لابد من التمييز عن طريق فتن شتى (كفتنة الشهوة، وفتنة المال، وفتنة السلطان والجاه ، وفتنة الغربة، وفتنة الأهل والأحباب ، بذلك تكون المعركة بين العقيدة والبلاء حسب قوة صاحبها ، فمن قويت عقيدته زيد في بلائه على النحو الذي شاهدناه مع الأنبياء .

أما ما يحصله المؤمن بعد الابتلاء من نصر وتأييد وأجر وثواب فهذا أمر موكل إلى الله تعالى ، وهو وعد من الله وسنة من سننه لعباده المخلصين الصادقين، فكذلك المسيئين والمفسدين فهي سنة جارية لا تتغير ولا تحيد.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1083
السنة38
الجمعة 16 شعبان 1425 هـ الموافق
1 أكتوبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1083 الجمعة 16 شعبان 1425 هـ .الموافق 1 اكتوبر 2004م

جلالة الملك يوجه رسالة إلى المشاركين في اللقاء الأول من لقاءات سيدي شيكر العالمية للمنتسبين إلى التصوف

وجه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس رسالة إلى المشاركين في اللقاء الأول من لقاءات سيدي شيكر العالمية للمنتسبين إلى التصوف الذي افتتحت أشغاله يوم الجمعة الماضي بمراكش تحت الرعاية السامية لجلالة الملك. وفي ما يلي نص الرسالة الملكية التي تلاها وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد أحمد التوفيق:

■ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه، أيها السادة، أيتها السيدات، لقد أبينا إلا أن نضفي على ملتقاكم هذا، وهو الأول من لقاءات سيدي شيكر العالمية، سابغ رعايتنا السامية، من منطلق الأمانة التي نتقلدها كأمير للمؤمنين، والتي تلقي على عاتقنا مسؤولية رعاية الشؤون الدينية في مملكتنا بجميع مظاهرها وأبعادها، لذا يطيب لنا أن نوجه إليكم هذه الكلمة، مرحبين بكم، متمنين للمشاركين في هذا الملتقى من خارج المغرب مقاما هنيئا ومفيدا، يتعرفون خلاله على بلد يقترن في ذاكرتهم برصيد من التراث الصوفي والتربوي الروحي، المتمثل في عدد من أقطاب التصوف الاسلامي وشيوخه من المغاربة المعروفين على مستوى العالم الاسلامي.

لقد استوعب أبناء هذا البلد الطيب، منذ اعتناقهم للإسلام أن جوهر الدين هو تزكية النفس وتطهيرها من الأنانية والحقد والتعصب، وتحليها بمكارم الأخلاق، والتسامي عن الشهوات المذلة للقلب والروح والعقل، بضبط النفس ومراقبة سلوكها اليومي، ابتغاء للاكتمال الروحي المصطلح عليه بالتصوف.

ولقد تأسست في المغرب عبر القرون، طرق صوفية على أيدي شيوخ مربين، شهد لهم الناس بعلو الهمة، وشفوف الادراك واتخذوهم نماذج في القدوة السلوكية. وكانت تلك الطرق الكبرى بمثابة مدارس روحية وتربوية، خدمت الاسلام بالترسيخ لقيمه، والتعميق لقواعده والتكييف مع ظروف الزمان والمكان. وكان تأطيرها للناس يتجلى في عدد من الزوايا في المدن والقرى التي مايزال بعضها قائما إلى اليوم. كما كان أسلافنا من الملوك، رضوان الله عليهم، إذا وجهوا الخطاب إلى القائمين على هذه الزوايا يسمونهم بالمرابطين استيحاء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث تدل المرابطة من بين ماتدل عليه، على الاعتكاف من أجل تهذيب أخلاق النفس البشرية، وهو أفضل الجهاد.

كما كانوا يضفون على شيوخ الزوايا أردية التوقير والاحترام ويستنصحونهم في الشدائد والملمات، إقرارا بدورهم الفعال في إصلاح المجتمع وتقوية جانب المناعة الخلقية في مواجهة البدع والضلالات، والغلو والتشدد، والتسابق إلى جلب المصلحة، وعمل البر والتقوى، وانزال السكينة في القلوب ونبذ المفسدة ودرء الاثم والعدوان.

والمتأمل في تاريخ صوفية المغرب، يجد في سلوكهم وتعابيرهم، سواء لدى الصفوة أو على مستوى عامة الناس، ما يجده عند غيرهم من صوفية البلاد الأخرى، من رسوخ كبير في الأذواق والرقائق، وفهم القرآن. ولعل صوفية المغرب قد تميزوا عن سواهم بما غلب عليهم من نزعة اجتماعية وتربوية وخلقية، فقد اشتغلوا على الخصوص، بتعليم القرآن الكريم ونشر تعاليمه، بأسلوب مبني على مخاطبة القلوب وتعميق رجائها في رحمة الله التي وسعت كل شيء. كما عمقوا محبة آل البيت في النفوس، وأسسوا المدارس وخزائن الكتب، وسهروا على إصلاح ذات البين بين الناس، ونشروا قيم التضامن والتكافل، وقضوا بما نسجوه من روابط الأخوة القلبية، على عدد من حواجز التمايز العرقي والقبلي، وألغوا كثيرا من مظاهر الاقصاء الاجتماعي، وذلك بحث الناس على التسابق في الخيرات والتسامي على الماديات وتعميق استشعار الافتقار لله تعالى، والاستغناء به عما سواه. وإذا كانت مناحي تأثيرهم التربوي والاجتماعي تند عن الاحصاء فإن ثلاثة أمور جليلة جديرة بالاشارة في هذا المقام، أولها مساندة الإمامة الشرعية في القيام بأعبائها، مع الحفاظ على الوحدة المذهبية المالكية والعقيدة الأشعرية والانفتاح، وثانيها تحرير النفوس من حب الرئاسة المغرضة، وترويضها على الشكر لله، ونبذ أنواع الأنانية والطغيان وثالثها تخريج ثلة من الرواد الذين لم تتناقض في أذهانهم النوازع الكونية مع التحلي بالروح الوطنية الخالصة.

أيها السادة، أيتها السيدات، ماأحوج الانسانية في عالمنا اليوم، إلى تفعيل قيم التسامح والتضامن والايثار وردع الأنانيات الهوجاء، بل ما أحوج المسلمين إلى إحياء قيمهم المثلى في الأخلاق، والعمل والتعايش الجميل مع الآخر. ولاشك أن المعاني التي نستحضرها عندما نذكر أن أعلام الزهاد والصالحين وأياديهم البيضاء على حضارة الاسلام، تجعلنا نتشوق إلى ورود تلك المنابع الصافية من الخلق الرفيع، باعتبار أن ما هو مستوحى من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، لايمكن أن ينظر إليه كتراث جامد، أو نزوع ولى زمانه، فالعمل التربوي من أجل اصلاح الفرد من الداخل هو المطلوب في كل وقت وحين تجسيدا للايمان بأن الانسان من حيث هو محل التكريم الالهي، والاستخلاف في الارض، مؤهل لتحقيق الكمال، في نفسه ومجتمعه وبيئته.

في هذا السياق، نود الاعراب عن إشادتنا بالفكرة التي تؤمنون بها والغاية النبيلة التي تجاهدون أنفسكم لتحقيقها في سبيل استرجاع التوازن بين المادة والروح. كما نهيب بكم للتعاون على مايجمعكم من الاهداف والقيم المثلى، بالرغم من تنوع المشارب والطرائق التربوية، التي تؤدي كلها إلى نفس المحجة، وهي العقيدة الالهية الصحيحة التي تجمعكم وتوحد منظوركم. ولن يتحقق ذلك إلا بالتسامح الذي يفرض علينا اليوم أكثر من أي وقت مضى، الاسهام في تصحيح النظر إلى الاسلام عند أهل ملتكم أولا، ثم عند أهل الملل والمذاهب الاخرى ثانيا، وأنتم أهل التوجهات الروحية التي تسمو على المذهبيات والعرقيات، القادرون على استثمار حكمتكم في تنوير العقول، وتطهير النفوس الحاقدة والمتعصبة أو الجاهلة مما ران عليها من التصادم والتعصب.

ولما كان اختيارنا السياسي في المغرب، هو ترسيخ النهج الديمقراطي في تدبير شؤون شعبنا تدبيرا عصريا في توافق تام مع ديننا الحنيف، فإننا نرى أن حرية التنظيم والمبادرة المكفولة بالقانون، تفسح المجال أمام جميع الطاقات التي كانت مكبوتة تحت وطأة الخوف أو الاقصاء أو الاحتكار، فلا شيء مع هذه الاختيارات الديمقراطية المنصفة يمكنه أن يحد اليوم من المبادرات الخيرة والمساعي الهادفة إلى إسعاد الانسان وترقية أحواله.

ولاشك أن في تجربتكم الموروثة من أجل تحقيق هذه الأهداف، مايؤهلكم للعودة إلى الميدان الديني والتربوي والاجتماعي المنزه عن كل توظيف سياسوي رخيص أو مغرض متحلين بقيم التصوف الأصيل القائم على الجمع بين الورع والتقوى والاستقامة في السلوك، وبين العمل الخالص، المنزه عن الأغراض الذاتية، سيما وأن المجتمعات في عصرنا هذا، قد أخذت في إعلاء كل قيم التجرد والتسامح، وفي الأخذ بعدد من مفاهيم الثقافة التي قامت عليها طريقتكم. فما عليكم إلا أن تنافحوا عن هذه القيم، ذات المنطق الموحد والهدف النبيل، حريصين على تجسيد التواصل والتعارف والتعاون فيما بينكم لتجلية روح ملتقاكم هذا ببلد ظل قطبا للتسامح بين الاديان السماوية، ثابت القدم في السير على نهج الوسطية والاعتدال مبرهنا في كل وقت وحين على تشبثه بأصالته وثوابته، مراعيا على الدوام فضائل الانفتاح والتفاهم وتبادل الخبرات، والاقرار بضرورة الجمع بين آداب الاخذ والعطاء بين الافراد والجماعات، والحضارات والثقافات.

نسأل الله تعالى أن يجعل طريقكم في التصوف موحدة على الطريقة المبنية على المحجة البيضاء، من توحيد الله والتعبد بذكره، طلبا للتجرد الذي يهيئ للعمل الخالص والصالح، ذلك العمل الذي تطمئن له القلوب، وتسعد به الجماعة، وتنتفع به الأمة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.